إلهي نور الله

تأليف

بهاء الدين محمد أنور محمود

إلى نور الله

تأليف

بقلم الحقير محمد أنور محمود

فهرست الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إلى نور الله

تأليف

بهاءالدين محمد أنور محمود

رقم الإيداع: ٢٠٢٦/٢٩٤٥٩م

الترقيم الدولي: ٨-٩١٦٩-٩٥-٩٧٧-٩٧٨

ISBN: 978-977-95-9169-8



هَذَا الْكِتَابُ وَقْفٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا يُبَاعُ وَلَا يُشْتَرَى، وَقَدْ أَذِنَ مُؤَلِّفُهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ بِتَرْجَمَتِهِ وَطِبَاعَتِهِ وَتَصْوِيرِهِ وَنَشْرِهِ وَتَوْزِيعِهِ مَجَّانًا، بِشَرْطِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى نَصِّهِ دُونَ تَحْرِيفٍ أَوْ تَغْيِيرٍ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ.

For Contacting the Author:

Email: bahaamohmmed97@gmail.com

Phone / WhatsApp: +201095071216

الْإِهْدَاءُ

إِلَى مَنْ كَانُوا سِرَاجَ طَرِيقِي فِي لَيْلِ التَّعَلُّمِ، أَسَاتِذَتِي وَمَشَايِخِي، الَّذِينَ غَرَسُوا فِي قَلْبِي بُذُورَ الْمَعْرِفَةِ، وَسَقَوْهَا بِنُورِ الْإِخْلَاصِ، وَلِكُلِّ مَنْ مَدّ لِي يَدًا بَيْضَاءَ فِي دَرْبِ الْعِلْمِ وَالسُّلُوكِ، أُهْدِي هَذَا الْعَمَلَ الْمُتَوَاضِعَ، ثُمَّ أَخُصُّ بِالْإِهْدَاءِ أَرْوَاحَ أَجْدَادِي الْأَجِلّاءِ، سَادَاتِي الْوَاصِلِينَ، الَّذِينَ ارْتَحَلُوا إِلَى جِوَارِ اللهِ وَتَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ أَثَرًا لَا يُمْحَى، وَهُمْ:

- **فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دِرَازٍ.**
- **وَفَضِيلَةُ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ.**
- **وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ.**
- **وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْحَاجِّ مَكَّاوِيٍّ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ.**
- **وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ خَالِدٍ ابْنِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ.**

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَلَ قُبُورَهُمْ رِيَاضًا مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سَحَائِبَ رَحْمَتِهِ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاهُمْ فِي زُمْرَةِ الْمَحْبُوبِينَ، تَحْتَ لِوَاءِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ. وَإِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ اللهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، مِمَّنْ طَابَ ذِكْرُهُمْ وَعَمَلُهُمْ. أُهْدِي هَذَا الْجُهْدَ، رَجَاءَ الْقَبُولِ، وَالْتِمَاسًا لِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

بَهَاءُالدِّينِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَنْوَرَ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ.

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ السَّيْرَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غَايَةٌ جَلِيلَةٌ، وَرِحْلَةٌ إِيمَانِيَّةٌ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْعَبْدِ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ، وَتَزْكِيَةَ نَفْسِهِ، وَإِصْلَاحَ قَلْبِهِ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَى أَمْرِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَلَيْسَ هَذَا السَّيْرُ مُجَرَّدَ انْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، أَوِ اكْتِسَابٍ لِلْمَعَارِفِ وَالْأَقْوَالِ، بَلْ هُوَ مُجَاهَدَةٌ لِلنَّفْسِ، وَمُحَاسَبَةٌ لَهَا، وَتَحَوُّلٌ فِي الْإِرَادَةِ وَالْوِجْهَةِ، حَتَّى يَتَوَجَّهَ الْقَلْبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَتَظْهَرَ آثَارُ ذَلِكَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالسُّلُوكِ، وَقَدْ تَتَشَابَكُ أَمَامَ السَّائِرِ طُرُقُ الْحَيَاةِ، وَتَتَنَازَعُهُ الشَّهَوَاتُ وَالْأَهْوَاءُ، وَيَشْغَلُهُ التَّعَلُّقُ بِالدُّنْيَا عَنِ الْغَايَةِ الَّتِي خُلِقَ لِأَجْلِهَا؛ فَيَغْدُو بِحَاجَةٍ إِلَى نُورٍ يَهْدِي بَصِيرَتَهُ، وَعِلْمٍ يُرْشِدُ خُطَاهُ، وَتَذْكِيرٍ يُوقِظُ قَلْبَهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى لُزُومِ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ فِكْرَةُ هَذَا الْكِتَابِ " إِلَى نُورِ اللهِ" ؛ مُحَاوَلَةً مُتَوَاضِعَةً لِلِاقْتِرَابِ مِنْ مَعَانِي التَّزْكِيَةِ وَالسُّلُوكِ، وَاسْتِجْلَاءِ بَعْضِ مَا تَضَمَّنَتْهُ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَأَئِمَّةِ السُّلُوكِ مِنْ إِشَارَاتٍ وَمَعَانٍ تُعِينُ عَلَى فَهْمِ أَحْوَالِ الْقَلْبِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَتَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ كَانَ الِاعْتِمَادُ فِي عَرْضِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ عَلَى الِاسْتِرْشَادِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالِاسْتِشْهَادِ بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ وَالسَّائِرِينَ إِلَى اللهِ، مَعَ إِثْبَاتِ الْإِحَالَاتِ إِلَى عَدَدٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي نُقِلَتْ عَنْهَا النُّصُوصُ وَالْأَقْوَالُ، حِرْصًا عَلَى رَبْطِ الْمَعَانِي الْمَعْرُوضَةِ بِأُصُولِهَا وَمَرَاجِعِهَا.

وَلَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ أَسَاسًا فِي اسْتِقَامَةِ السُّلُوكِ، فَقَدْ عُنِيَ الْكِتَابُ بِبَيَانِ أَثَرِ أَحْوَالِ الْقَلْبِ فِي تَوْجِيهِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَأَعْمَالِهِ؛ فَالْقَلْبُ قَدْ تَحْجُبُهُ الشَّهَوَاتُ وَالْأَهْوَاءُ، وَتُثْقِلُهُ الْمَعَاصِي وَالتَّعَلُّقَاتُ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِمَا يَعْلَمُ الِانْتِفَاعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُثْمِرَهُ الْعِلْمُ مِنْ خَشْيَةٍ وَإِنَابَةٍ وَعَمَلٍ، وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ تَزْكِيَةَ الْقَلْبِ لَا تَنْفَصِلُ عَنْ إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ.

وَلَا يَتَحَقَّقُ صِدْقُ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى، وَإِنَّمَا تَظْهَرُ حَقِيقَتُهُ فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ كُلَّمَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي تَقْصِيرٍ أَوْ زَلَلٍ.

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى، قَالَ شَقِيقٌ الْبَلْخِيُّ فِي كِتَابِ «آدَابِ الْعِبَادَاتِ»: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُبْصِرَ بِقَلْبِكَ نُورَ اللَّهِ، فَارْفَعْ عَنْ قَلْبِكَ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ: أَوَّلُهَا: رَدُّ الْمَظَالِمِ، وَثَانِيهَا: تَقْدِيمُ الْفَضْلِ مِنَ الْقُوتِ، وَثَالِثُهَا: أَنْ تُخَالِفَ هَوَاكَ فِي جَمِيعِ مَا لَا يَكُونُ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا، وَرَابِعُهَا: أَلَّا تَخَافَ الْفَقْرَ، وَخَامِسُهَا: أَلَّا تُبَالِيَ بِمَا قَالَ النَّاسُ فِيكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْيَا قَلْبُكَ، وَتَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تَعَالَى".

وَيُبْرِزُ هَذَا الْقَوْلُ جُمْلَةً مِنَ الْمَعَانِي الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِتَزْكِيَةِ الْقَلْبِ، مِنْ رَدِّ الْمَظَالِمِ، وَمُجَاهَدَةِ الْهَوَى، وَتَقْوِيَةِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَعَدَمِ الِارْتِهَانِ إِلَى أَقْوَالِ النَّاسِ وَمَدْحِهِمْ أَوْ ذَمِّهِمْ، وَهِيَ مَعَانٍ تَنْسَجِمُ مَعَ مَقْصِدِ الْكِتَابِ فِي رَبْطِ إِصْلَاحِ الْبَاطِنِ بِاسْتِقَامَةِ الظَّاهِرِ، وَجَعْلِ التَّزْكِيَةِ سُلُوكًا عَمَلِيًّا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ وَعَلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ.

وَقَدْ رُتِّبَتْ مَوْضُوعَاتُ الْكِتَابِ فِي خَمْسَةِ أَبْوَابٍ مُتَتَابِعَةٍ: التَّوْبَةِ، وَالزُّهْدِ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِتَعْرِضَ جُمْلَةً مِنَ الْمَعَانِي وَالْمَقَامَاتِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِسَيْرِ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ وَتَزْكِيَةِ قَلْبِهِ.

اسْتُهِلَّ الْكِتَابُ بِالتَّوْبَةِ؛ لِأَنَّهَا تُمَثِّلُ نُقْطَةَ الِانْطِلَاقِ فِي هَذَا الْمَسَارِ، وَبِهَا يَرْجِعُ الْعَبْدُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى إِلَى تَصْحِيحِ الْإِرَادَةِ. وَلَمْ تُعْرَضِ التَّوْبَةُ بِوَصْفِهَا مُجَرَّدَ اسْتِغْفَارٍ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِاعْتِبَارِهَا رُجُوعًا صَادِقًا تَتَكَامَلُ فِيهِ أَعْمَالُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَتَظْهَرُ آثَارُهُ فِي تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، وَالنَّدَمِ عَلَى مَا مَضَى، وَرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَإِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَهُ الذَّنْبُ، ثُمَّ يَأْتِي الزُّهْدُ لِيُبَيِّنَ حَقِيقَةَ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَحُدُودَهُ، وَأَنَّ الْعِبْرَةَ لَيْسَتْ بِمُجَرَّدِ تَرْكِ مُتَاعِهَا، وَإِنَّمَا بِتَحْرِيرِ الْقَلْبِ مِنَ الِاسْتِغْرَاقِ فِيهَا، وَأَلَّا تَكُونَ غَايَةَ هَمِّ الْإِنْسَانِ وَمَقْصَدَهُ، مَعَ الْأَخْذِ مِنْ أَسْبَابِهَا الْمُبَاحَةِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ أَوِ اسْتِرْسَالٍ فِي الشَّهَوَاتِ.

وَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي إِيقَاظِ الْقَلْبِ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَحَمْلِهِ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَالْحِرْصِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ. وَيَتَنَاوَلُ الْكِتَابُ أَسْبَابَهُ وَمَقَامَاتِهِ وَآفَاتِهِ، وَصِلَتَهُ بِالزُّهْدِ وَالتَّقْوَى، وَمَا يُثْمِرُهُ مِنْ صَلَاحٍ فِي الْقَلْبِ وَالسُّلُوكِ. ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الْخَيْرِ الْأُخْرَوِيِّ، وَاسْتِحْضَارِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَالتَّطَلُّعِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ مُبَيِّنًا مَرَاتِبَ هَذَا الشَّوْقِ وَآثَارَهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ. وَيُخْتَتَمُ الْمَسَارُ بِمَوْضُوعِ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَتَنَاوَلُ حَقِيقَتَهَا وَمَقَامَاتِهَا، وَالْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَيْهَا، وَالْأَسْبَابَ الْمُعِينَةَ عَلَى تَحْصِيلِهَا، وَمِنْ أَبْرَزِهَا تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَدَوَامُ الذِّكْرِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وَإِخْلَاصُ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدِ اخْتِيرَ لِعَرْضِ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ أُسْلُوبُ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ؛ تَقْرِيبًا لِلْمَسَائِلِ، وَتَنْظِيمًا لِأَفْكَارِهَا، وَإِعَانَةً لِلْقَارِئِ عَلَى تَتَبُّعِ مَعَانِيهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ تَوْجِيهَاتٍ إِيمَانِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ. وَرُوعِيَ فِي تَرْتِيبِهَا الِانْتِقَالُ مِنْ مَعَانِي الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ وَإِصْلَاحِ الْعَلَاقَةِ بِهِ إِلَى مَا يُعِينُ عَلَى دَوَامِ الِاسْتِقَامَةِ، وَتَقْوِيَةِ دَوَاعِي الطَّاعَةِ، وَتَرْسِيخِ الْمَحَبَّةِ؛ مَعَ بَيَانِ الْمَقَامَاتِ وَالْمَرَاتِبِ وَالْآفَاتِ حَيْثُ تَنَاوَلَهَا النَّصُّ، وَرَبْطِ الْمَعَانِي النَّظَرِيَّةِ بِمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي السُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ.

وَلَا يَدَّعِي هَذَا الْعَمَلُ اسْتِيعَابَ جَمِيعِ مَا كُتِبَ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، أَوِ الْإِحَاطَةَ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ أَقْوَالٍ وَتَفْصِيلَاتٍ، وَإِنَّمَا هُوَ جُهْدٌ مُتَوَاضِعٌ لِجَمْعِ بَعْضِ مَعَانِيهَا وَتَقْرِيبِهَا، بِمَا يُعِينُ الْقَارِئَ عَلَى التَّأَمُّلِ فِي أَحْوَالِ نَفْسِهِ، وَمُرَاجَعَةِ قَصْدِهِ وَعَمَلِهِ، وَالِانْتِفَاعِ بِمَا يَقْرَؤُهُ فِي إِصْلَاحِ قَلْبِهِ وَسُلُوكِهِ. كَمَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ عَرْضِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالسَّائِرِينَ لَيْسَ الْوُقُوفَ عِنْدَ جَمَالِ الْعِبَارَةِ أَوْ غَرَابَةِ الْإِشَارَةِ، بَلْ تَدَبُّرَ الْمَعَانِي فِي ضَوْءِ أُصُولِهَا، وَالنَّظَرَ فِي أَثَرِهَا فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَتَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَحُسْنِ الِاتِّبَاعِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، نَافِعًا لِكَاتِبِهِ وَقَارِئِهِ، وَأَنْ يَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ، وَيُيَسِّرَ انْتِشَارَهُ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مَقْبُولًا عِنْدَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَاصَّتِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ سَبَبًا لِنَفْعٍ يَعُمُّ، وَخَيْرٍ يَتَوَاصَلُ أَثَرُهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِمَنْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ هَذَا الْعَمَلَ مِنْ أَسَاتِذَتِي وَمَشَايِخِي وَأَجْدَادِي، وَأَزْوَاجِ أَهْلِ اللَّهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، مِمَّنْ طَابَ ذِكْرُهُمْ وَعَمَلُهُمْ، نَصِيبًا مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَثَوَابِهِ، وَأَنْ يَجْزِيَهُمْ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وَيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، وَيَجْمَعَنَا بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ، تَحْتَ لِوَاءِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ، وَحُسْنَ الزُّهْدِ، وَالْخَوْفَ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالشَّوْقَ الَّذِي يَدْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْمَحَبَّةَ الَّتِي تَظْهَرُ فِي اتِّبَاعِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ مَا يَحْجُبُهَا عَنْهُ، وَيَهْدِيَنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَيَتَقَبَّلَ هَذَا الْجُهْدَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



مَا التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مَنْزِلَتُهَا فِي طَرِيقِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ الرُّجُوعُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَمِنْ هَوَى النَّفْسِ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ الرُّجُوعُ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّيَّةِ الْقَلْبِ.(١)

أَمَّا مَنْزِلَةُ التَّوْبَةِ: فَهِيَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الطَّالِبِينَ؛(٢) إِذْ بِهَا يَبْدَأُ الْعَبْدُ سَيْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَتَحَقَّقُ رُجُوعُهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُذْنِبِينَ وَالْعَاصِينَ، صَغُرَ الذَّنْبُ أَوْ كَبُرَ.(٣)

وَتَتَجَلَّى أَهَمِّيَّةُ التَّوْبَةِ فِي أَنَّهَا أَسَاسٌ لِتَصْحِيحِ مَسَارِ الْعَبْدِ فِي طَرِيقِ الْهِدَايَةِ؛ فَلَا تَكْمُلُ هِدَايَتُهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مَعَ الْجَهْلِ بِالذُّنُوبِ وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الذَّنْبِ، وَالِاعْتِرَافِ بِهِ، وَطَلَبِ التَّخَلُّصِ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِهِ.(٤)

وَقَدْ دَعَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التَّوْبَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور: ٣١]

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ". **رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**(٥)

---

(١) محمود، بهاءالدين محمد أنور، **من أصبهان إلى دمشق أربعون حديثًا في السير إلى الله دراسة صوفية في قلب مخطوطة نادرة**، ص١٤٢.

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج١/ص٢٠٧.

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **تاريخ بغداد**، ج١٤/ص١٣٧.

(٤)ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٢٧٦.

(٥)القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم: ٤٢ - (٢٧٠٢)، ج٤/ص٢٠٧٥.

وَالتَّوْبَةُ، فِي مَسَارِ التَّزْكِيَةِ وَالسُّلُوكِ، غِذَاءُ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَيَاةُ قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ، وَرُوحُ أَسْرَارِ الْعَارِفِينَ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ إِقْلَاعٍ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، بَلْ رُجُوعٌ بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحَوُّلٌ فِي وِجْهَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ.

وَخُلَاصَةُ مَنْزِلَةِ التَّوْبَةِ: أَنَّهَا بَدَايَةُ طَرِيقِ السَّالِكِينَ، وَأَصْلٌ فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ وَإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ، وَمَدْخَلٌ لِلرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَيَتَجَدَّدُ افْتِقَارُ الْعَبْدِ إِلَيْهَا كُلَّمَا ازْدَادَ مَعْرِفَةً بِرَبِّهِ وَمُرَاقَبَةً لَهُ.

مَا مَقَامَاتُ التَّوْبَةِ وَمَرَاتِبُهَا؟

أَوَّلًا :مَقَامَاتُ التَّوْبَةِ

التَّوْبَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَقَامَاتٍ: النَّدَمِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَقِيقَةِ، وَبَيَانُهَا كَمَا يَأْتِي:

١) النَّدَمُ: هُوَ عَزْمُ التَّحَوُّلِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، مَعَ وُجُودِ مَرَارَةِ الْمَاضِي، وَالْأَسَفِ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَآفَةُ النَّدَمِ الْأَمَلُ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّسْوِيفِ وَتَأْخِيرِ التَّوْبَةِ.

٢) الِاسْتِغْفَارُ: هُوَ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصِحَّةِ الْإِرَادَةِ وَصِدْقِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ.
وَآفَتُهُ الْغَفْلَةُ الَّتِي تُفْقِدُ الْعَبْدَ حُضُورَ الْقَلْبِ وَصِدْقَ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

٣) الْحَقِيقَةُ: وَهِيَ الْأَوْبَةُ، أَيْ :الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَلْبِ وَالْإِرَادَةِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ بِصِدْقٍ، وَتَرْكُ مَا يُبْعِدُ الْعَبْدَ عَنْهُ
وَآفَتُهَا الشَّهْوَةُ الَّتِي تَصُدُّ الْعَبْدَ عَنْ كَمَالِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. [٦]

[٦] أبو منصور الأصبهاني، معمر بن أحمد، **نهج الخاص**، ص ٤٨.

ثَانِيًا :مَرَاتِبُ التَّوْبَةِ، وَهِيَ:

١) التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ بِالطَّاعَةِ: بِالرُّجُوعِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْإِقْبَالِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢) التَّوْبَةُ مِنَ الدُّنْيَا بِالزُّهْدِ فِيهَا: بِتَرْكِ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَعَدَمِ جَعْلِهَا غَايَةَ الْعَبْدِ وَمَقْصَدَهُ.

٣) التَّوْبَةُ مِنْ مَحَبَّةِ الْقَلْبِ لِمَا زَهِدَ فِيهِ: بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ الْبَاطِنِيِّ بِمَا أَعْرَضَ عَنْهُ الْعَبْدُ ظَاهِرًا.

٤) التَّوْبَةُ مِنَ الْهَوَى: بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَتَرْكِ الِانْقِيَادِ لِأَهْوَائِهَا، وَتَوْجِيهِ الْإِرَادَةِ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (٧)

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْأَوْبَةِ، وَمَا دَلَالَةُ كُلٍّ مِنْهَا؟

وَيَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْأَوْبَةِ فِي الْبَاعِثِ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: (٨)

١) التَّوْبَةُ: مَنْ تَابَ خَوْفًا مِنَ الْعُقُوبَةِ فَهُوَ صَاحِبُ تَوْبَةٍ، وَالتَّوْبَةُ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

٢) الْإِنَابَةُ: مَنْ تَابَ طَمَعًا فِي الثَّوَابِ فَهُوَ صَاحِبُ إِنَابَةٍ، وَالْإِنَابَةُ صِفَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُقَرَّبِينَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[ق :٣٣].

---

(٧) محمود، بهاءالدين محمد أنور، **من أصبهان إلى دمشق أربعون حديثًا في السير إلى الله دراسة صوفية في قلب مخطوطة نادرة**، ص١٤٢.

(٨) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج١/ص٢١١.

٣) الْأَوْبَةُ: مَنْ تَابَ مَحَبَّةً لِلَّهِ تَعَالَى وَابْتِغَاءً لِمَرْضَاتِهِ، لَا طَمَعًا فِي الثَّوَابِ وَلَا خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، فَهُوَ صَاحِبُ أَوْبَةٍ، وَالْأَوْبَةُ صِفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص :٣٠].

وَالْخُلَاصَةُ: يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْأَوْبَةِ فِي الْبَاعِثِ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَتَكُونُ التَّوْبَةُ خَوْفًا مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَتَكُونُ الْإِنَابَةُ طَمَعًا فِي الثَّوَابِ، وَتَكُونُ الْأَوْبَةُ مَحَبَّةً لِلَّهِ تَعَالَى وَابْتِغَاءً لِمَرْضَاتِهِ، لَا طَمَعًا فِي الثَّوَابِ وَلَا خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ.

مَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَمَا شُرُوطُهَا وَأَرْكَانُهَا؟

أَوَّلًا :حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ

حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالنَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَطَلَبُ الْمَغْفِرَةِ مِنْهُ.

وَمِنْ حَقِيقَتِهَا أَيْضًا إِخْرَاجُ حَلَاوَةِ الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْقَلْبِ، وَوُجُودُ الْمَرَارَةِ لِمَا مَضَى مِنْ مُخَالَفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّحَوُّلُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ. [٩]

ثَانِيًا :شُرُوطُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ

تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ بِمَا يَأْتِي:

١) مَعْرِفَةُ الذَّنْبِ وَالِاعْتِرَافُ بِهِ: بِأَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَيَعْتَرِفَ بِتَقْصِيرِهِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

[٩] محمود، بهاءالدين محمد أنور، **من أصبهان إلى دمشق أربعون حديثًا في السير إلى الله دراسة صوفية في قلب مخطوطة نادرة**، ص١٤٢.

٢) النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ: بِأَنْ يَجِدَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ الْأَسَفَ عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣) الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَتَرْكُ الْإِصْرَارِ عَلَيْهَا: فَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ، وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْ غَيْرِ إِقْلَاعٍ عَنِ الْمَعْصِيَةِ تَوْبَةُ الْكَاذِبِينَ.

٤) رَدُّ الْمَظَالِمِ: بِإِعَادَةِ الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَإِصْلَاحِ مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ الْعِبَادِ.

٥) طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ الذَّنْبِ: بِالِاسْتِغْفَارِ وَصِدْقِ الْإِرَادَةِ فِي الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثَالِثًا :أَرْكَانُ التَّوْبَةِ وَمَظَاهِرُهَا

تَتَجَلَّى حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ فِي أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

١) الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ: بِطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢) النَّدَمُ بِالْقَلْبِ: بِالْأَسَفِ عَلَى مَا وَقَعَ مِنَ الذَّنْبِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣) الْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ: بِالْإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ.

٤) تَحْوِيلُ الْأَبْدَانِ: أَيْ تَحَوُّلُ الْعَبْدِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَتَغْيِيرُ سُلُوكِهِ بِمَا يُحَقِّقُ صِدْقَ تَوْبَتِهِ.

وَمِنْ حَقِيقَةِ التَّوْبَةِ أَيْضًا مُجَانَبَةُ أَهْلِ السُّوءِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَحَبَّةُ أَهْلِ الطَّاعَةِ؛[١٠] لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِعَانَةٍ لِلْعَبْدِ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الطَّاعَةِ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ

(١٠) محمود، بهاءالدين محمد أنور، **من أصبهان إلى دمشق أربعون حديثًا في السير إلى الله دراسة صوفية في قلب مخطوطة نادرة**، ص١٤٢.

أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٨]، وَتَوْبَةُ الْعَامَّةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَوْبَةُ الْخَاصَّةِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَتَوْبَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْغَيْبَةِ عَنْ حَضْرَةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، فَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ افْتِقَارًا إِلَى التَّوْبَةِ؛ إِذْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ سَهْوٍ وَسِنَةٍ حَتَّى يَجُولَ بِقَلْبِهِ فِي الْأَكْوَانِ، أَوْ يَمِيلَ عَنِ الِاعْتِدَالِ، فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ الِاسْتِغْفَارُ مِنْهَا. (١١)

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ اسْتِغْفَارٍ بِاللِّسَانِ، بَلْ هِيَ نَدَمٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْلَاعٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَتَرْكٌ لِلْإِصْرَارِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَرُجُوعٌ صَادِقٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ وَإِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَهُ الذَّنْبُ.

كَيْفَ تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَالسُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ؟

تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَتَظْهَرُ حَقِيقَتُهَا فِي النَّدَمِ عَلَى الْمَاضِي، وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، وَالتَّحَوُّلِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

أَوَّلًا: التَّوْبَةُ فِي الْقَلْبِ

تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ فِي الْقَلْبِ بِصِدْقِ النَّدَامَةِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُخَالَفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِعَقْدِ النِّيَّةِ عَلَى تَرْكِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجِ حَلَاوَةِ الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْقَلْبِ، وَوُجُودِ الْمَرَارَةِ لِمَا مَضَى مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَكُونُ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِالْقَلْبِ بِصِدْقِ النَّدَامَةِ، وَبِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَطَلَبِ مَغْفِرَتِهِ.

(١١) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٧/ص٨٧.

ثَانِيًا: التَّوْبَةُ بِاللِّسَانِ

تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ بِاللِّسَانِ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنْهُ؛ فَالِاسْتِغْفَارُ طَلَبٌ لِلْغُفْرَانِ بِصِحَّةِ الْإِرَادَةِ، وَلَا يَكْفِي مُجَرَّدُ الِاسْتِغْفَارِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

ثَالِثًا: التَّوْبَةُ فِي الْجَوَارِحِ

تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ فِي الْجَوَارِحِ بِكَفِّهَا عَنِ الْمَعَاصِي، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

١) تَوْبَةُ الْعَيْنِ: غَضُّهَا عَنِ الْمَحَارِمِ.
٢) تَوْبَةُ الْيَدِ: كَفُّهَا عَنِ الْمَنَاهِي.
٣) تَوْبَةُ الْقَدَمِ: مَنْعُهَا مِنَ السَّيْرِ إِلَى الْمَلَاهِي.
٤) تَوْبَةُ السَّمْعِ: مَنْعُهُ مِنْ سَمَاعِ الْأَبَاطِيلِ.
٥) تَوْبَةُ الْبَطْنِ: تَنَاوُلُ الْحَلَالِ وَمَنْعُهُ مِنْ تَنَاوُلِ الْحَرَامِ. [١٢]

رَابِعًا :التَّوْبَةُ فِي السُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ

تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ فِي السُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ بِالتَّحَوُّلِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى حُسْنِ الطَّاعَةِ بَعْدَ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ، وَرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَمُجَانَبَةِ أَهْلِ السُّوءِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَحَبَّةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ.

وَتَقُومُ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ عَلَى الِاجْتِمَاعِ بَيْنَ الِاسْتِغْفَارِ بِاللِّسَانِ، وَالنَّدَمِ بِالْقَلْبِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَرْكَانِ، وَتَحْوِيلِ الْأَبْدَانِ، أَيْ: التَّحَوُّلِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ.

[١٢] النيسابوري، عبد الملك بن محمد إبراهيم، **تهذيب الأسرار**، ص٩٩.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ التَّوْبَةَ الصَّادِقَةَ لَا تَقِفُ عِنْدَ النَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَلْ تَظْهَرُ آثَارُهَا فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَالسُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ؛ فَيَرْجِعُ الْعَبْدُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَيُقْبِلُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيُصْلِحُ مَا تَعَلَّقَ بِذَنْبِهِ مِنْ حُقُوقٍ وَمَظَالِمَ.

كَيْفَ يُحَاسِبُ السَّالِكُ نَفْسَهُ عَلَى الذَّنْبِ، وَمَا الْأُمُورُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَهَا عِنْدَ التَّوْبَةِ؟

تَقْتَضِي التَّوْبَةُ مَعْرِفَةَ الذَّنْبِ وَالِاعْتِرَافَ بِهِ، وَمُحَاسَبَةَ النَّفْسِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلًا: الِانْخِلَاعُ مِنَ الْعِصْمَةِ حِينَ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ، بِأَنْ يَسْتَحْضِرَ الْعَبْدُ حَالَهُ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثَانِيًا: الْفَرَحُ عِنْدَ الظَّفَرِ بِالذَّنْبِ، بِأَنْ يُحَاسِبَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَى فَرَحِهِ بِالْمَعْصِيَةِ حِينَ ارْتِكَابِهَا، وَيَتَأَمَّلَ فِي حَالِ قَلْبِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّضَا بِالذَّنْبِ.

ثَالِثًا: الْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ وَعَدَمُ تَدَارُكِهِ، مَعَ الْيَقِينِ بِاطِّلَاعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَبْدِ، بِأَنْ يَتَأَمَّلَ فِي إِصْرَارِهِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَتَأْخِيرِهِ التَّوْبَةَ مِنْهَا، مَعَ يَقِينِهِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهِ. (١٣)

وَبِهَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ يَعْرِفُ الْعَبْدُ مَوَاضِعَ تَقْصِيرِهِ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَدَارُكُهُ، فَيَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَيُقْلِعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَيَتْرُكُ الْإِصْرَارَ عَلَيْهَا.

(١٣) الهروي، عبد الله بن محمد بن علي، **منازل السائرين**، ص١٣.
ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٢٧٦-٢٧٩.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ مُحَاسَبَةَ النَّفْسِ عَلَى الذَّنْبِ تَقُومُ عَلَى اسْتِحْضَارِ حَالِ الْعَبْدِ عِنْدَ ارْتِكَابِهِ، وَمُرَاجَعَةِ فَرَحِهِ بِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي إِصْرَارِهِ عَلَيْهِ وَتَأْخِيرِ تَوْبَتِهِ مِنْهُ، مَعَ اسْتِحْضَارِ اطِّلَاعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي صِدْقِ التَّوْبَةِ وَحُسْنِ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

مَا فَضْلُ التَّوْبَةِ وَجَزَاءُ التَّائِبِينَ، وَمَا دَوْرُ تَوْفِيقِ اللَّهِ وَهِدَايَتِهِ فِي تَحْقِيقِهَا؟

أَوَّلًا: فَضْلُ التَّوْبَةِ وَجَزَاءُ التَّائِبِينَ

لِلتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَضْلٌ عَظِيمٌ؛ فَهِيَ غِذَاءُ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَيَاةُ قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ، وَرُوحُ أَسْرَارِ الْعَارِفِينَ الَّذِينَ يُرَاقِبُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ التَّائِبِينَ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٨]،

وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مِنْ جَزَاءِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ وَدُخُولَ الْجَنَّاتِ، وَعَبَّرَ بِـ«عَسَى» لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ تَفَضُّلٌ وَإِحْسَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِيَبْقَى الْعَبْدُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِعَمَلِهِ، مَهْمَا عَمِلَ. (١٤)

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ». **رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.** (١٥)

---

(١٤) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٧/ص٨٦.

(١٥) القزويني، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم: (٤٢٥٠)، ج٢/ص١٤١٩. " رواه ابن ماجه، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، رفعه بهذا، ورجاله ثقات، بل حسنه شيخنا يعني- ابن حجر- لشواهده، والا فأبو عبيدة جزم غير واحد، بأنه لم يسمع من أبيه ". (السخاوي، **المقاصد الحسنة**، ص٢٤٩. ط دار الكتاب العربي).

ثَانِيًا: دَوْرُ تَوْفِيقِ اللَّهِ وَهِدَايَتِهِ فِي تَحْقِيقِ التَّوْبَةِ

التَّوْبَةُ رُجُوعُ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُفَارَقَتُهُ لِصِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْهِدَايَةُ إِلَّا بِإِعَانَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَقَدِ انْتَظَمَتْ هَذِهِ الْمَعَانِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ؛ فَمَنْ أَعْطَاهَا حَقَّهَا عِلْمًا وَشُهُودًا لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَحَالًا وَمَعْرِفَةً، عَلِمَ أَنَّ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ تَقْتَضِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ؛ إِذْ لَا تَكْمُلُ هِدَايَةُ الْعَبْدِ مَعَ الْجَهْلِ بِالذُّنُوبِ وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا.(١٦)

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ فَضْلَ التَّوْبَةِ يَتَجَلَّى فِي تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ، وَفِي مَا تُحَقِّقُهُ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَصَلَاحِ الْأَرْوَاحِ.

وَأَمَّا تَوْفِيقُ اللَّهِ وَهِدَايَتُهُ فَهُمَا أَصْلٌ فِي رُجُوعِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ وَثَبَاتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ؛ فَيَجْتَمِعُ افْتِقَارُ الْعَبْدِ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ مَعَ وُجُوبِ التَّوْبَةِ عَلَيْهِ، وَيَبْقَى بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، رَاجِيًا مَغْفِرَةَ رَبِّهِ وَرَحْمَتَهُ.

فَتُبْ أَيُّهَا التَّائِبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُسْتَعِينًا بِفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ، رَاجِيًا أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

(١٦) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٢٧٦.



مَا هُوَ الزُّهْدُ؟

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: سَفَرُ الْقَلْبِ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَخْذُهُ إِلَى مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَالزُّهّادُ مُلُوكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَقِيقَةُ الزُّهْدِ قَصْرُ الْأَمَلِ وَتَرْكُ الدُّنْيَا وَالرِّضَا بِقَدَرِ اللهِ عَزّ وَجَلّ، وَالِاقْتِصَارُ بِالْيَسِيرِ بِتَرْكِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذّاتِهَا وَالتَنَعُّمِ بِأَسْبَابِهَا، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُورِثُ صِحّةَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَأَطَالَ الصّمْتَ، أُنْطِقَ بِالْحِكْمَةِ وَالْيَقِينِ[١٧]، وَصَارَ عَلَى وَجْهِهِ بَهَاءُ الْعَابِدِينَ، وَفِي قَلْبِهِ أَنْوَارُ الزّاهِدِينَ؛ فَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَةٌ إِلّا فِي قَوَامِهِ مِنَ الْعَيْشِ، وَضَرُورِيّاتِ الْحَيَاةِ.[١٨]

هَلْ دَعَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا؟

نَعَمْ، دَعَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْمَعْنَى الْمُطْلَقِ لِتَرْكِهَا أَوْ إِهْمَالِهَا، بَلْ بِالْمَعْنَى النِّسْبِيِّ الَّذِي يَحُثُّ عَلَى عَدَمِ التَّعَلُّقِ بِهَا وَجَعْلِهَا الْهَدَفَ الْأَسْمَى فِي الْحَيَاةِ، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالتَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا، وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا، وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَايِنُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُؤْثِرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ.

---

[١٧] محمود، بهاءالدين محمد أنور، **من أصبهان إلى دمشق أربعون حديثًا في السير إلى الله دراسة صوفية في قلب مخطوطة نادرة**، ص١٤٦.

[١٨] شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص١٨.

مَفْهُومُ الزُّهْدِ فِي الْقُرْآنِ:

١) **عَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا**: يَحْذَرُ الْقُرْآنُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا الزَّائِلِ، وَيَدْعُو إِلَى عَدَمِ الِانْشِغَالِ بِهَا عَنِ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ لَهَا، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٥–٤٦].

وَكُلُّ مَا تَذْرُوهُ رِيَاحُ الْمَوْتِ فَهُوَ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَالْمَالِ وَالْجَاهِ مِمّا يَنْقَضِي عَلَى الْقُرْبِ، وَكُلُّ مَا لَا يَقْطَعُهُ الْمَوْتُ فَهُوَ الْبَاقِيَاتُ الصّالِحَاتُ، كَالْعِلْمِ وَالْحُرِّيّةِ لِبَقَائِهِمَا كَمَالًا فِيهِ، وَوَسِيلَةً إِلَى الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَالْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ يَكُونُ طَرِيقًا لِلْمَعْرِفَةِ بِاللهِ. (١٩)

وَأَمّا الْحُرِّيّةُ فَالْخَلَاصُ مِنْ أَسْرِ الشّهَوَاتِ وَغُمُومِ الدُّنْيَا، وَالاسْتِيلَاءُ عَلَيْهَا بِالْقَهْرِ تَشَبُّهًا بِالْمَلَائِكَةِ الّذِينَ لَا تَسْتَفِزُّهُمُ الشّهْوَةُ وَلَا يَسْتَهْوِيهِمُ الْغَضَبُ؛ فَإِنّ دَفْعَ آثَارِ الشّهْوَةِ وَالْغَضَبِ عَنِ النّفْسِ مِنَ الْكَمَالِ الّذِي هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ. (٢٠)

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل: ٩٦].

مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا يَنْفَدُ يَنْقَضِي وَيَفْنَى، وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، وَجَزِيلِ نِعْمَتِهِ بَاقٍ لَا يَفْنَى، وَهُوَ تَعْلِيلٌ لِلنّهْيِ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ طَمَعًا فِي الْعَرَضِ الْفَانِي، وَلَنَجْزِيَنّ الّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، أَوْ عَلَى الْفَاقَاتِ وَأَذَى الْكُفّارِ، أَوْ مَشَاقِّ

(١٩)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، ج٣/ص٢٨٤.
(٢٠) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٣/ص٢٧٥؛ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، ج٣/ص٢٨٤.

التَّكَالِيفِ، أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيْ بِجَزَاءٍ أَحْسَنَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، فَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ، وَالْوُقُوفُ مَعَ الْحُدُودِ، مِنْ شَأْنِ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ، كَالْعُبَّادِ وَالزُّهَّادِ، وَالْعُلَمَاءِ الْأَخْيَارِ.(٢١)

٢) **تَفْضِيلُ الْآخِرَةِ :** يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ لِمَنِ اتَّقَى، قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى: ١٦–١٧].

كَأَنَّهُ قِيلَ إِثْرَ بَيَانِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْفَلَاحِ: فَلَا تَفْعَلُونَ ذَلِكَ، بَلْ تُؤْثِرُونَ اللَّذَّاتِ الْعَاجِلَةَ الْفَانِيَةَ، فَتَسْعَوْنَ لِتَحْصِيلِهَا، وَتَشْتَغِلُونَ بِذَلِكَ عَنِ التَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ، { وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ } أَيْ: خَيْرٌ فِي نَفْسِهَا، لِنَفَاسَةِ نَعِيمِهَا، وَخُلُوصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّكْدِيرِ، وَأَدْوَمُ لَا انْصِرَامَ لَهُ وَلَا تَمَامَ، وَالْخِطَابُ لِلْكَفَرَةِ؛ بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ الْغَيْبِ(٢٢)، وَإِيثَارُهَا حِينَئِذٍ: نِسْيَانُهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا، أَوْ: لِلْكُلِّ.

---

(٢١) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٣/ص١٦١.

(٢٢) قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، بَلْ تُؤْثِرُونَ بِالتَّاءِ، تَصْدِيقُهُ قِرَاءَةُ أُبَيّ "بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ"، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَنَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ" بَلْ يُؤْثِرُونَ" بِالْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ، تَقْدِيرُهُ: بَلْ يُؤْثِرُونَ الْأَشْقَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَيَكُونُ تَأْوِيلُهَا بَلْ تُؤْثِرُونَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الِاسْتِكْثَارَ مِنَ الدُّنْيَا، لِلِاسْتِكْثَارِ مِنَ الثَّوَابِ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ آثَرْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ؟ لِأَنَّ الدُّنْيَا حَضَرَتْ وَعُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُهَا وَطَعَامُهَا وَشَرَابُهَا، وَلِذَاتُهَا وَبَهْجَتُهَا، وَالْآخِرَةَ غُيِّبَتْ عَنَّا، فَأَخَذْنَا الْعَاجِلَ، وَتَرَكْنَا الْآجِلَ. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠/ص٢٣.

فَالْمُرَادُ بِإِيثَارِهَا: هُوَ مَا لَا يَخْلُو النَّاسُ مِنْهُ غَالِبًا، مِنْ تَرْجِيحِ جَانِبِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ فِي السَّعْيِ، إِلَّا الْقَلِيلَ، وَإِيثَارُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا طَبْعٌ غَالِبٌ عَلَى الْإِنْسَانِ، قَلَّ مَنْ يَنْفَكُّ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا}.

وَجُمْلَةُ: {وَٱلْأَخِرَةُ...} إِلى آخِرِهِ: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ {تُؤْثِرُونَ} مُؤَكِّدَةٌ لِلتَّوْبِيخِ وَالْعِتَابِ، أَيْ: تُؤْثِرُونَهَا عَلَى الْآخِرَةِ وَالْحَالُ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْهَا وَأَبْقَى، قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مِنْ ذَهَبٍ يَفْنَى، وَالْآخِرَةُ مِنْ طِينٍ يَبْقَى، لَكَانَ الْعَاقِلُ يَخْتَارُ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، لَا سِيَّمَا وَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ. (٢٣)

مَا الْأَدِلَّةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا؟

لَقَدْ بَيَّنَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَحَثَّتْ عَلَى عَدَمِ التَّعَلُّقِ بِزِينَتِهَا وَمَتَاعِهَا، وَعَدَمِ جَعْلِهَا الْغَايَةَ الَّتِي يَنْشَغِلُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنْ آخِرَتِهِ.

كَمَا بَيَّنَتْ أَنَّ الْغِنَى الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ، وَإِنَّمَا فِي غِنَى النَّفْسِ، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، مَعَ عَدَمِ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ نَبَوِيَّةٌ شَرِيفَةٌ تُبَيِّنُ مَعَالِمَ الزُّهْدِ وَتَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ، وَمِنْ أَبْرَزِهَا مَا يَأْتِي:

١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ".
رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ مَاجَهْ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. (٢٤)

---

(٢٣) ابن عجيبة الحسني، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٧/ص٢٨٩.

(٢٤) القزويني، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، كتاب الزهد، باب الهم بالدينا، حديث رقم: (٤١٠٥)، ج٢/ص ١٣٧٥؛ وأخرجه الترمذي في سننه، في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم: (٢٤٦٥)، ج٤/ص٢٥٢. قال البوصيري: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، ج٤/ص٢١٢.

٢) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ". وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.** (٢٥)

٣) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.** (٢٦)

تَدُلُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ مُجْتَمِعَةً عَلَى أَنَّ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا تَكْمُنُ فِي تَحْرِيرِ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَعَدَمِ الِانْشِغَالِ بِمَتَاعِهَا عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ؛ فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ يُبَيِّنُ أَثَرَ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، فَمَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا غَايَةَ هَمِّهِ وَمَبْلَغَ عِلْمِهِ، تَفَرَّقَ أَمْرُهُ، وَظَلَّ يَطْلُبُ الْمَزِيدَ مِنْهَا دُونَ أَنْ يَبْلُغَ حَدَّ الْكِفَايَةِ، وَمَنْ جَعَلَ الْآخِرَةَ مَقْصَدَهُ، وَعَمِلَ لَهَا، رَزَقَهُ اللَّهُ غِنَى الْقَلْبِ، وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ، وَهَيَّأَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا مَا قُدِّرَ لَهُ.

وَيُؤَكِّدُ الْحَدِيثُ الثَّانِي هَذَا الْمَعْنَى بِتَوْجِيهِ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْغَرِيبِ أَوْ عَابِرِ السَّبِيلِ؛ فَلَا يَتَّخِذَهَا وَطَنًا دَائِمًا، وَلَا يَغْتَرُّ بِزِينَتِهَا، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُنْتَقِلٌ عَنْهَا، فَيَغْتَنِمُ أَيَّامَ عُمُرِهِ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُبَادِرُ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ، وَلِذَلِكَ أَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِأَلَّا يَنْتَظِرَ الْمَرْءُ الْمَسَاءَ إِذَا أَصْبَحَ، وَلَا الصَّبَاحَ إِذَا أَمْسَى، فَيُبَادِرَ بِالْعَمَلِ وَلَا يُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْآخِرَةِ.

أَمَّا الْحَدِيثُ الثَّالِثُ، فَيُبَيِّنُ أَنَّ الْغِنَى الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ، وَإِنَّمَا بِغِنَى النَّفْسِ وَقَنَاعَتِهَا بِمَا رَزَقَهَا اللَّهُ؛ فَقَدْ يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ، وَلَا يَزَالُ طَمَّاعًا

(٢٥) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، حديث رقم: (٦٤١٦)، ج٨/ص٨٩.
(٢٦) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، حديث رقم: (٦٤٤٦)، ج٨/ص٩٥.

مُتَعَلِّقًا بِالْمَزِيدِ، وَقَدْ يَمْلِكُ الْقَلِيلَ، وَيَكُونُ رَاضِيًا شَاكِرًا، غَيْرَ مُسْتَعْبَدٍ لِحُبِّ الْمَالِ وَالْمَنْزِلَةِ.

وَبِذَلِكَ تَتَكَامَلُ دَلَالَةُ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ: فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ يُوَجِّهُ هَمَّ الْإِنْسَانِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَالثَّانِي يُذَكِّرُهُ بِقِصَرِ الْمُقَامِ فِي الدُّنْيَا وَضَرُورَةِ الِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ، وَالثَّالِثُ يُعَلِّمُهُ أَنَّ الْغِنَى الْحَقِيقِيَّ غِنَى الْقَلْبِ، لَا كَثْرَةُ الْمَالِ.

وَالزُّهْدُ، بِهَذَا الْمَعْنَى، لَا يَعْنِي تَرْكَ الْكَسْبِ الْمُبَاحِ أَوْ إِهْمَالَ مَصَالِحِ الْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي أَلَّا تَسْتَوْلِيَ الدُّنْيَا عَلَى الْقَلْبِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِي يَدِ الْإِنْسَانِ لَا فِي قَلْبِهِ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي طَاعَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ، مَعَ بَقَاءِ هَمِّهِ الْأَعْظَمِ فِي رِضَا اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِالْآخِرَةِ.

مَا مَرَاتِبُ الزُّهْدِ، وَمَا أَبْرَزُ عَلَامَاتِهِ؟

وَيَكُونُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَجْرِيدِ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَعَدَمِ جَعْلِهَا غَايَةَ الْهِمَّةِ، مَعَ الْأَخْذِ مِنْ أَسْبَابِهَا الْمُبَاحَةِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا اسْتِرْسَالٍ فِي الشَّهَوَاتِ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ ثُمَّ الزُّهْدُ فِي مُخَالَطَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا مُخَالَطَةً تُشْغِلُ عَنِ اللَّهِ، وَالْإِقْلَالُ مِنَ الِاخْتِلَاطِ بِمَنْ يَشْغَلُهُ التَّكَلُّفُ وَالتَّنَافُسُ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا عَنِ الطَّاعَةِ وَالْآخِرَةِ؛ ثُمَّ الزُّهْدُ فِي النَّفْسِ بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا إِذَا خَالَفَ الشَّرْعَ، وَتَرْكِ مَا لَا يَنْبَغِي مِنْ مُرَادَاتِهَا، وَمَعْرِفَةِ مَوَاضِعِ ضَعْفِهَا وَمَيْلِهَا إِلَى مَا يُبْعِدُهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ثُمَّ الزُّهْدُ فِي الِاقْتِصَارِ عَلَى حُظُوظِ النَّفْسِ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، بِأَنْ يَخْلُصَ الْقَصْدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَطَلَبِ رِضَاهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْنِيَ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَنْ وَعْدِ اللَّهِ بِالثَّوَابِ أَوْ تَرْكَ الرَّغْبَةِ فِي الْجَنَّةِ؛ ثُمَّ الِارْتِقَاءُ إِلَى خَالِصِ الزُّهْدِ، وَهُوَ الزُّهْدُ فِيمَا سِوَى اللَّهِ مِنْ جِهَةِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ، بِحَيْثُ لَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ تَعَلُّقًا يَصْرِفُهُ عَنْ رَبِّهِ، مَعَ تَخْلِيصِ الزُّهْدِ مِنْ رُؤْيَةِ النَّفْسِ لِزُهْدِهَا، وَعَدَمِ الْإِعْجَابِ بِهِ أَوِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ بِإِفْرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَصْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَالزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ، وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَى مَفْقُودٍ، وَالنَّظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ

الزَّوَالِ، فَتَصْغُرُ، فَيَسْهُلُ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا، وَتَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَتَرْكُ مَا يُشْغِلُ عَنِ اللَّهِ، بِمَعْنَى: عَدَمُ الْفَرَحِ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا، وَلَا الْحُزْنُ عَلَى إِدْبَارِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ، أَيَكُونُ زَاهِدًا؟ إِذْ لَمْ يَفْرَحْ إِذَا زَادَتْ، وَلَا يَحْزَنْ إِذَا نَقَصَتْ. (٢٧)

مَا عِلَاقَةُ الزُّهْدِ بِالْإِيثَارِ وَالْفُتُوَّةِ؟

وَلِلزُّهْدِ خِصَالٌ تَظْهَرُ فِي عَمَلِ الْإِنْسَانِ وَقَوْلِهِ وَمَوْقِفِهِ مِنَ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ، وَقَدْ جُمِعَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْخِصَالِ فِي الْقَوْلِ الْآتِي: وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: عَمَلٌ بِلَا عَلَاقَةٍ، وَقَوْلٌ بِلَا طَمَعٍ، وَعِزٌّ بِلَا رِيَاسَةٍ، وَالزُّهْدُ: هُوَ الْإِيثَارُ عِنْدَ الِاسْتِغْنَاءِ، وَالْفُتُوَّةُ: الْإِيثَارُ عِنْدَ الْحَاجَةِ. (٢٨)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر: ٩]

بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُمْ بِقَطْعِ الطَّمَعِ وَالْحِرْصِ، وَالزُّهْدِ فِيمَا لَمْ يَمْلِكُوا بِقَوْلِهِ: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً}، وَصَفَهُمْ بِالْإِيثَارِ فِيمَا مَلَكُوا، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ تَحْقِيقُ خُرُوجِ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ بِمَا فَاتَ مِنْهَا، وَلَا يُمْسِكُ مَا وَجَدَ مِنْهَا، بَلْ يُؤْثِرُ بِهِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، فَالْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى سَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةِ الْأَنْفُسِ، وَهَذَا كَانَ وَصْفَ

(٢٧) الفيومي، محمد حسن بن علي بن سليمان البدر، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، ج١٢/ص٦٢١؛ ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٤٦٣.

(٢٨) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج١/ص٢٤٢؛ ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٢/ص١٤.

الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَبِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ فَاقُوا جَمِيعَ النَّاسِ، [٢٩]بِمَعْنَى أَنْ تَتْرُكَ الدُّنْيَا، ثُمَّ لَا تَهْتَمَّ بِمَنْ أَخَذَهَا[٣٠].

كَيْفَ يُقَسَّمُ الزُّهْدُ مِنْ حَيْثُ مَقَامَاتُهُ وَمَرَاتِبُهُ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟

وَالزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثِةِ مَقَامَاتٍ: زُهْدٌ فِي الدُّنْيَا، وَزُهْدٌ فِي الْحَظِّ، وَزُهْدٌ فِي النَّفْسِ؛ فَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا سَبَبُ الْهُجُومِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالزُّهْدُ فِي الْحَظِّ سَبَبُ وُجُودِ الْحَقِيقَةِ، وَالزُّهْدُ فِي النَّفْسِ حَقِيقَةُ الْحَقِيقَةِ، فَآفَةُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّةُ الدُّنْيَا، وَآفَةُ الزُّهْدِ فِي الْحَظِّ رُؤْيَةُ الْحَظِّ، وَآفَةُ الزُّهْدِ فِي النَّفْسِ حُبُّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا. [٣١]

فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الزُّهْدَ لَهُ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ مُتَدَرِّجَةٍ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالزُّهْدُ فِي الْحَظِّ، وَالزُّهْدُ فِي النَّفْسِ، فَأَمَّا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ عَدَمُ التَّعَلُّقِ بِمَتَاعِهَا وَالِانْشِغَالِ بِجَمْعِهَا، وَآفَتُهُ مَحَبَّةُ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الزُّهْدُ فِي الْحَظِّ، فَهُوَ أَلَّا يَكُونَ هَمُّ الْإِنْسَانِ تَحْصِيلَ نَصِيبِهِ وَمَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةَ، وَآفَتُهُ الِالْتِفَاتُ إِلَى حُظُوظِ النَّفْسِ وَالْإِعْجَابُ بِمَا تُحَقِّقُهُ، وَأَمَّا الزُّهْدُ فِي النَّفْسِ، فَهُوَ أَلَّا يُعْجَبَ الْإِنْسَانُ بِزُهْدِهِ أَوْ يَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلًا بِهِ، بَلْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ وَيُخْلِصُ قَصْدَهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَآفَتُهُ شِدَّةُ التَّعَلُّقِ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا.

وَبِذَلِكَ يَنْتَقِلُ الزَّاهِدُ مِنْ تَرْكِ التَّعَلُّقِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا إِلَى تَجَاوُزِ الِانْشِغَالِ بِحُظُوظِ النَّفْسِ، ثُمَّ إِلَى التَّحَرُّرِ مِنَ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ وَرُؤْيَةِ فَضْلِهَا؛ فَالْعِبْرَةُ لَيْسَتْ بِمَا يَتْرُكُهُ الْإِنْسَانُ ظَاهِرًا فَحَسْبُ، بَلْ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ قَلْبُهُ وَمَا يَقْصِدُهُ بِعَمَلِهِ.

---

[٢٩] أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٧/ص١٢.
[٣٠] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج١/ص٢٤٠.
[٣١] أبو منصور الأصبهاني، معمر بن أحمد، **نهج الخاص**، ص ٥٠.

وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ الزُّهْدِ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ دَرَجَاتِ التَّحَقُّقِ بِهِ، إِلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدرجة الأولى: الزُّهْدُ فِي الشُّبْهَةِ بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ، وَكَرَاهَةُ مُشَارَكَةِ الْفُسَّاقِ.

الدرجة الثانية: الزُّهْدُ فِي الْفُضُولِ، وَمَا زَادَ عَلَى الْقُوتِ، بِاغْتِنَامِ التَّفَرُّغِ إِلَى عِمَارَةِ الْوَقْتِ، وَالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ.

الدرجة الثالثة: الزُّهْدُ فِي الزُّهْدِ، وَهُوَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

أَوَّلًا: اسْتِحْقَارُ مَا زَهِدْتَ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ، لَا يَرَى أَنَّ مَا تَرَكَهُ لِأَجْلِهِ مِنَ الدُّنْيَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجْعَلَ قُرْبَانًا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.

ثَانِيًا: اسْتِوَاءُ الْحَالَاتِ فِيهِ عِنْدَهُ: فَهُوَ أَنْ يَرَى تَرْكَ مَا زَهِدَ فِيهِ وَأَخْذَهُ مُتَسَاوِيَيْنِ عِنْدَهُ؛ إِذْ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ قَدْرٌ، وَهَذَا مِنْ دَقَائِقِ فِقْهِ الزُّهْدِ، فَيَكُونُ زَاهِدًا فِي حَالِ أَخْذِهِ، كَمَا هُوَ زَاهِدٌ فِي حَالِ تَرْكِهِ.

ثَالِثًا: الذَّهَابُ عَنْ شُهُودِ الِاكْتِسَابِ: وَهُوَ أَنْ يُشَاهِدَ تَفَرُّدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، فَلَا يَرَى أَنَّهُ تَرَكَ شَيْئًا وَلَا أَخَذَ شَيْئًا، بَلِ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُعْطِي وَالْمَانِعُ، فَمَا أَخَذَهُ فَهُوَ مُجْرًى لِعَطَاءِ اللهِ إِيَّاهُ، كَمَجْرَى الْمَاءِ فِي النَّهْرِ، وَمَا تَرَكَهُ لِلَّهِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ مِنْهُ. (٣٢)

(٣٢) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٢/ص١٨-٢١.

هَلْ هُنَاكَ مِثَالٌ تَطْبِيقِيٌّ لِلزُّهْدِ؟

نَعَمْ؛ نَذْكُرُ مِثَالًا عَنِ الزُّهْدِ فِي الطَّعَامِ، فَمُبْتَدَأُ الدُّخُولِ فِي الزُّهْدِ أَدَبُ النَّفْسِ بِقَطْعِ الشَّهَوَاتِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَلَى الْقُوتِ الْكَافِي، وَمَنْعِهَا مِنَ الشِّبَعِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، حَتَّى يَصِيرَ الْجُوعُ لَهَا شِعَارًا، وَالطَّعَامُ لَهَا دِثَارًا، ـ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ـ فَيَجْعَلُ لِنَفْسِهِ طَعَامًا مَعْلُومًا، وَيَجْعَلُ طَعَامَهُ قُوتًا، وَيَجْعَلُ طَعَامَهُ أَكْلَتَيْنِ: إِنْ شَاءَ غَدَاءً وَعَشَاءً، وَإِنْ شَاءَ عَشَاءً وَسُحُورًا، إِنْ أَرَادَ الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ أَقْوَى وَأَسْرَعُ فِي السَّيْرِ، وَلَا يَجْعَلُ طَعَامَهُ أَكْلَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ قُوتُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، ظَلَّ يَوْمَهُ وَعَامَّةَ لَيْلَتِهِ لَيْسَ لَهُ جُوعٌ، فَيَطْلُعُ فِي تِلْكَ الْحَالِ إِلَى فُضُولِ الشَّهَوَاتِ، وَيَغْفُلُ جَسَدُهُ لِاجْتِمَاعِ الطَّعَامِ فِي بَطْنِهِ، وَامْتِلَاءُ جَوْفِهِ مُشْغِلٌ لِجَسَدِهِ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا فِي ثُلُثِ بَطْنِهِ، وَيَجْعَلَ الثُّلُثَ الثَّانِيَ وَالثَّالِثَ لِلنَّفْسِ وَالتَّسْبِيحِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَأَكْلَتَانِ أَقْوَى مِنْ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَعْظَمُ لِلْجَسَدِ.

فَإِذَا مَضَى بِهِ يَوْمٌ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ صِدْقَ النِّيَّةِ، أَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ طَائِفَةً مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَأَدْخَلَ مَكَانَهَا نُورَ الزُّهْدِ، فَإِذَا مَضَى بِهِ يَوْمٌ آخَرُ عَلَى ذَلِكَ، يُرَوِّضُ نَفْسَهُ وَيُؤَدِّبُهَا لِيَقْطَعَ عَنْهَا حُبَّ الدُّنْيَا، أَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ شَهَوَاتِهَا، وَلَا يَزَالُ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلَيْهِ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ الظُّلْمَةَ، وَيُدْخِلُ مَكَانَهَا النُّورَ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، لَمْ يَبْقَ مِنَ الظُّلْمَةِ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَجَعَلَ مَكَانَهُ نُورًا، فَيَصِيرُ قَلْبُهُ نُورًا يُزْهِرُ، قَدْ تَمَكَّنَ فِيهِ نُورُ الزُّهْدِ. (٣٣)

(٣٣) شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص١٧-١٨.

خَاتِمَةٌ

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَلَبَ الدُّنْيَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ ـ أَيْ: سَلَبَ حُبَّ الدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقَ بِهَا مِنْ قُلُوبِهِمْ ـ وَحَمَاهَا عَنْ أَصْفِيَائِهِ، وَأَخْرَجَهَا مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ وِدَادِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَهَا لَهُمْ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ رَفْضَهَا مِنَ الْمُلْكِ، فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَدَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ أَزْهَدِ أَهْلِ زَمَانِهِمَا، وَلَهُمَا مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَالنِّسَاءِ مَا لَهُمَا، وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَزْهَدِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرُ، وَعُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ مِنَ الزُّهَّادِ، مَعَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الزُّهَّادِ، مَعَ مَالٍ كَثِيرٍ، وَكَذَلِكَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الزُّهَّادِ.

وَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ ـ إِذَا أُصِبْتَ بِهَا ـ أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ لَمْ تُصِبْكَ. (٣٤)

وَالنِّعْمَةُ إِنْ شَغَلَتْ عَنِ اللَّهِ، فَالزُّهْدُ فِيهَا أَفْضَلُ، وَإِنْ لَمْ تَشْغَلْ عَنِ اللَّهِ، بَلْ كَانَ الْعَبْدُ شَاكِرًا لِلَّهِ فِيهَا، فَحَالُهُ أَفْضَلُ، وَالزُّهْدُ فِيهَا تَجْرِيدُ الْقَلْبِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهَا، فَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ جَمِيلَةٌ، جَيِّدَةٌ، حَسَنَةٌ، فَإِذَا صَارَ هَكَذَا، فَإِنْ شَاءَ فَلْيَدُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَنْزِلْ مَنْزِلَةَ الْخَوْفِ مِنَ الزُّهْدِ. (٣٥)

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣٤) الفيومي، محمد حسن بن علي بن سليمان البدر، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، ج١٢/ص٦٢١-٦٢٣.
(٣٥) شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص١٨

الخوف من الله عز وجل

مَا هُوَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

هُوَ أَجَلُّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَنْفَعُهَا لِلْقَلْبِ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَالْخَوْفُ سَوْطُ اللَّهِ، يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ سِرَاجًا فِي الْقَلْبِ، يُبْصَرُ بِهِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ إِذْ خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ[٣٦]، فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فَفِرُّوا إِلَى اللهِ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، كَيْ تَنْجُوا مِنْ غَضَبِهِ، وَتَفُوزُوا بِثَوَابِهِ، أَوْ: فَفِرُّوا مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، أَوْ: مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، { إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ }، وَالْفِرَارُ إِلَى اللهِ يَكُونُ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ بِالتَّوْبَةِ، وَمِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الْيَقَظَةِ بِدَوَامِ الذِّكْرِ، وَمِنَ الْمَقَامِ مَعَ الْعَوَائِدِ وَالْحُظُوظِ إِلَى الزُّهْدِ بِالْمُجَاهَدَةِ وَخَرْقِ الْعَوَائِدِ، وَمِنْ شُهُودِ الْحِسِّ إِلَى شُهُودِ الْمَعْنَى، وَهُوَ مَقَامُ الشُّهُودِ.[٣٧]

وَمَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ، وَإِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا، وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا. [٣٨]

مَا أَسْبَابُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي تُوقِظُ الْقَلْبَ وَتَبْعَثُهُ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ؟

تَتَعَدَّدُ أَسْبَابُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَتَفَاوَتُ آثَارُهَا فِي الْقُلُوبِ بِحَسَبِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَاسْتِحْضَارِهِ لِحَقِّهِ عَلَيْهِ، وَتَصْدِيقِهِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ .وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ مَا يَأْتِي:

١. مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِشْعَارُ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ.

---

[٣٦] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٥٠٩.
[٣٧] أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٥/ص٤٨٠.
[٣٨] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٥٠٩.

تُعَدُّ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّأَمُّلُ فِي عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْخَشْيَةِ مِنْهُ؛ فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً بِرَبِّهِ، ازْدَادَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِجْلَالًا، وَاسْتَشْعَرَ حَاجَتَهُ إِلَيْهِ وَافْتِقَارَهُ إِلَى رَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨

وَتَظْهَرُ صِلَةُ الْمَعْرِفَةِ بِالْخَشْيَةِ حَيْثُ إِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ مِنْ أَقْوَى دَوَاعِي الْخَوْفِ مِنْهُ.

٢. التَّصْدِيقُ بِوَعِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِحْضَارُ عُقُوبَتِهِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

يَنْشَأُ الْخَوْفُ مِنْ إِدْرَاكِ الْعَبْدِ أَنَّ الْمَعَاصِيَ أَسْبَابٌ لِلْمُؤَاخَذَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَعَّدَ عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ بِالْعِقَابِ، وَأَنَّ النَّجَاةَ تَكُونُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا بِالْأَمَانِيِّ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ يَتَوَلَّدُ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: تَصْدِيقِ الْوَعِيدِ، وَذِكْرِ الْجِنَايَةِ، وَمُرَاقَبَةِ الْعَاقِبَةِ[٣٩]، فَالتَّصْدِيقُ بِالْوَعِيدِ يَجْعَلُ الْعَبْدَ يَأْخُذُ أَمْرَ الْآخِرَةِ مَأْخَذَ الْجِدِّ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْحَذَرِ مِنْ أَسْبَابِ الْعُقُوبَةِ.

٣. اسْتِحْضَارُ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْيَقِينُ بِأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعَبْدِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

مِنْ أَسْبَابِ الْخَوْفِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، وَيَرَى أَعْمَالَهُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُهُ وَمَقَاصِدُهُ، وَهَذَا الِاسْتِحْضَارُ يُوقِظُ الضَّمِيرَ الْإِيمَانِيَّ، وَيَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى مُرَاقَبَةِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَإِخْلَاصِ نِيَّتِهِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فِي الْخَلْوَةِ كَمَا يَحْذَرُ مِنْهَا أَمَامَ النَّاسِ، فَالْمُرَاقَبَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى الْعَبْدِ، بَلْ تَتَجَلَّى حَقِيقَتُهَا فِي أَنْ يُؤَثِّرَ هَذَا الْعِلْمُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ وَسُلُوكِهِ.

[٣٩] الهروي، عبد الله بن محمد بن علي، **منازل السائرين**، ص٢٧.

٤. تَذَكُّرُ الْمَوْتِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَحْوَالٍ.

إِنَّ اسْتِحْضَارَ الْمَوْتِ، وَالْبَعْثِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، يُوقِظُ الْقَلْبَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَيُذَكِّرُ الْعَبْدَ بِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ، وَيَبْعَثُ هَذَا التَّذَكُّرُ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَعَدَمِ الِاغْتِرَارِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا أَوْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، حَيْثُ إِنَّ الْيَقِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي تُثِيرُ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ، وَتُقَوِّي الْعَبْدَ عَلَى الصَّبْرِ وَمُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ.

٥. التَّفَكُّرُ فِي الذُّنُوبِ وَتَقْصِيرِ النَّفْسِ وَمُحَاسَبَتِهَا، وَالْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ وَعَدَمِ قَبُولِ الْعَمَلِ.

مِنْ أَسْبَابِ الْخَوْفِ أَنْ يُرَاجِعَ الْعَبْدُ أَعْمَالَهُ، وَيَتَأَمَّلَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَأَلَّا يَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ طَاعَتِهِ أَوْ يَحْكُمَ لِنَفْسِهِ بِالْقَبُولِ، فَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ تَكْشِفُ مَوَاضِعَ الْخَلَلِ، وَتَحْمِلُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ وَرَدِّ الْحُقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا، كَمَا يَدْفَعُ الْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَدَمِ الرُّكُونِ إِلَى الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ .

٦. التَّنَبُّهُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَتَجْدِيدُ اسْتِحْضَارِ الْوَعِيدِ الْإِلَهِيِّ بِالتَّدَبُّرِ وَالذِّكْرِ وَالِاتِّعَاظِ.

قَدْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يُوجِبُ الْخَوْفَ، ثُمَّ تَضْعُفُ آثَارُهُ فِي قَلْبِهِ بِسَبَبِ النِّسْيَانِ أَوِ الِانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا؛ لِذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ التَّذَكُّرِ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَاسْتِحْضَارِ مَعَانِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالِاتِّعَاظِ بِأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي خَشْيَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ نِسْيَانَ الْأَمْرِ الْمَخُوفِ وَعَدَمَ اسْتِحْضَارِهِ يَحُولَانِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ الْخَوْفِ، فَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّذْكِيرِ أَنْ يَنْتَقِلَ الْعِلْمُ مِنَ الذِّهْنِ إِلَى الْقَلْبِ، ثُمَّ يَظْهَرَ أَثَرُهُ فِي السُّلُوكِ وَالْعَمَلِ.

٧. الْخَوْفُ مِنْ آفَاتِ النَّفْسِ وَسُوءِ الْحَالِ وَسُوءِ الْخَاتِمَةِ.

مِنْ أَسْبَابِ الْخَوْفِ أَنْ يَتَنَبَّهَ الْعَبْدُ إِلَى آفَاتِ النَّفْسِ الَّتِي قَدْ تُضْعِفُ إِيمَانَهُ، مِثْلَ قَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَالْغُرُورِ بِالطَّاعَاتِ وَالنِّعَمِ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعَاصِي، وَالْخَوْفِ

مِنَ النِّفَاقِ وَسُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَتَدْفَعُ هَذِهِ الْمَخَاوِفُ الْمَحْمُودَةُ إِلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَتَجْدِيدِ التَّوْبَةِ، وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ، وَالْحِرْصِ عَلَى الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقَامَةِ. (٤٠)

مَا هِيَ مَقَامَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟

وَالْخَوْفُ عَلَى ثَلَاثِةِ مَقَامَاتٍ: خَوْفُ عَذَابِ اللَّهِ، وَخَوْفُ فِرَاقِ اللَّهِ، وَخَوْفُ اللَّهِ؛ فَخَوْفُ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ صِحَّةِ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ، وَخَوْفُ الْفِرَاقِ مِنَ اللَّهِ مِنْ صِحَّةِ وُجُودِ الِاتِّصَالِ، وَخَوْفُ اللَّهِ لِوُجُوبِ حَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ، فَآفَةُ خَوْفِ عَذَابِ اللَّهِ الرِّضَا بِأَفْعَالِ النُّفُوسِ، وَآفَةُ خَوْفِ فِرَاقِ اللَّهِ التَّعَلُّقُ بِحَلَاوَةِ النِّعَمِ وَالْعَطِيَّةِ، وَآفَةُ خَوْفِ اللَّهِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٤١)

مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّقْوَى؟

وَالزُّهْدُ وَالْخَوْفُ أَخَوَانِ، لَا يَتِمُّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ، وَهُمَا كَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ مَقْرُونَانِ؛ لِأَنَّ الزُّهْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، فَلَا يَلْزَمُ الْعَبْدَ الزُّهْدُ حَتَّى يَلْزَمَ الْخَوْفُ، وَإِذَا لَزِمَ الْخَوْفُ اقْتَرَنَ بِهِ الزُّهْدُ، فَصَارَ زَاهِدًا، وَالتَّقْوَى نُورُ الْخَوْفِ وَنُورُ الزُّهْدِ مَعًا. (٤٢)

كَيْفَ يَبْدَأُ الْمُسْلِمُ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟

وَمُبْتَدَأُ الْخَوْفِ أَنْ يُلْزِمَ قَلْبَهُ ذِكْرَ الْمَوْتِ حَتَّى يَرِقَّ، وَيُلْزِمَ نَفْسَهُ الْخَشْيَةَ لِلَّهِ وَالْحَذَرَ مِنَ اللَّهِ، حَتَّى يَخَافَهُ خَوْفًا كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَيُلْزِمُهُ اللَّهُ مَهَابَةَ نُورِ الْخَوْفِ، فَيَكُونُ الْعَبْدُ حِينَئِذٍ الْخَائِفَ، الْحَزِينَ، الذَّلِيلَ، الْمِسْكِينَ؛ لَا يَلْهُو مَعَ اللَّاهِينَ، وَلَا يَسْهُو مَعَ السَّاهِينَ، دَائِمَ

(٤٠) دولة، سهاد تحسين إلياس، **الخوف والرجاء في القرآن الكريم، ص٦٢**؛ الشمسان، عبد الرحمن بن سليمان، **الخوف والرجاء في الكتاب والسنة**، ص٢٤.
(٤١) أبو منصور الأصبهاني، معمر بن أحمد، **نهج الخاص**، ص ٥١.
(٤٢) شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص١٨.

الْبُكَاءِ، كَثِيرَ الدُّعَاءِ، قَلِيلَ النَّوْمِ، كَثِيرَ الْخَوْفِ، جَارُهُ آمِنٌ مِنْ مَكْرِهِ، غَيْرُ خَائِفٍ لِشَرِّهِ،[٤٣] وَصِدْقُ الْخَوْفِ هُوَ الْوَرَعُ عَنِ الْآثَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَفِيهِ الصَّلَاحُ. [٤٤]

مَا دَلَالَاتُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي بَيَانِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فَأَهْلُ الْقُوَّةِ مِنَ الْمُرِيدِينَ لِطَرِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ لِيَرُدُّوكُمْ أَوْ يُؤْذُوكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، زَادَهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا وَإِيقَانًا، وَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْجَادَّةِ، لِسُلُوكِهِمْ عَلَى مِنْهَاجِ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ تَعَالَى:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ ﴾ [العنكبوت: ٢] ، وَاكْتَفَوْا بِعِلْمِ اللهِ وَنَظَرِهِ وَبِرِعَايَتِهِ وَنَصْرِهِ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ الشُّهُودِ، وَفَضْلِ التَّرَقِّي فِي عَظَمَةِ الْمَلِكِ الْوَدُودِ، لَمْ يَمْسَسْهُمْ فِي بَاطِنِهِمْ سُوءٌ وَلَا نُقْصَانٌ، وَاسْتَوْجَبُوا مِنَ اللهِ الرِّضَى وَالرِّضْوَانَ، وَإِنَّمَا ذَلِكُمْ شَيْطَانٌ يَرُدُّهُمْ عَنْ مَقَامِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَخَافُوا وَمَطْلَبُهُمْ مَقَامُ الْإِحْسَانِ، الَّذِي تُبْذَلُ فِي طَلَبِهِ الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْدَانُ. [٤٥]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ ﴾ [المائدة: ٢٨].لَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ثَلَاثَ خِصَالٍ، يَجِبُ التَّحَقُّقُ بِهَا عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مُتَوَجِّهٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى: أَوَّلُهَا: التَّطْهِيرُ مِنْ رَذِيلَةِ الْحَسَدِ، الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَعْصِيَةٍ ظَهَرَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالثَّانِيَةُ: التَّطْهِيرُ مِنَ الشِّرْكِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، وَالتَّغَلْغُلُ فِي التَّبَرِّي مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُوجِبُ عَدَمَ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَيَتَحَصَّلُ ذَلِكَ

---

[٤٣] شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص١٩.
[٤٤] النيسابوري، عبد الملك بن محمد إبراهيم، **تهذيب الأسرار**، ص١٤٧.
[٤٥] أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج١/ص٤٣٩.

بِتَحْقِيقِ الْإِخْلَاصِ، وَالثَّالِثَةُ: عَدَمُ الانْتِصَارِ لِلنَّفْسِ وَالدَّفْعِ عَنْهَا إِلَّا فِيمَا وَجَبَ شَرْعًا، وَلَمَّا قَتَلَ قَابِيلُ أَخَاهُ، لَمْ يَدْرِ مَا يَفْعَلُ بِهِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَعَلَّمَهُ اللهُ كَيْفِيَّةَ دَفْنِهِ.(٤٦)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٥٠].

فَكُلُّ مَا دَخَلَ تَحْتَ عَالَمِ التَّكْوِينِ لَزِمَتْهُ الْعُبُودِيَّةُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ الْقَهْرِيَّةُ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْخُضُوعِ لِأَحْكَامِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، تَكْلِيفِيَّةً كَانَتْ أَوْ تَعْرِيفِيَّةً، فَمَنْ لَمْ يَنْقَدْ لَهَا بِمُلَاطَفَةِ الْإِحْسَانِ، قُيِّدَ بِسَلَاسِلِ الِامْتِحَانِ. وَبِهَذَا امْتَازَ الْخُصُوصُ مِنَ الْعُمُومِ، فَالْخُصُوصُ عَلِمُوا أَنَّ سِلْسِلَةَ الْأَقْدَارِ فِي عُنُقِهِمْ، تَجُرُّهُمْ إِلَى مُرَادِ رَبِّهِمْ، فَاسْتَسْلَمُوا لَهَا، وَانْقَادُوا، وَخَضَعُوا، وَتَأَدَّبُوا لَهَا، فَاسْتَحَقُّوا التَّقْرِيبَ وَالِاصْطِفَائِيَّةَ، وَالْعُمُومُ جَهِلُوا هَذِهِ السِّلْسِلَةَ، أَوْ عَلِمُوهَا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الِاسْتِسْلَامِ لَهَا فَاسْتَحَقُّوا الْبُعْدَ مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ إِذْ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا أَهْلُ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ. (٤٧)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

{ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ }؛ فَرَاقَبَهُ، ثُمّ شَاهَدَهُ، { جَنَّتَانِ }: جَنَّةٌ مُعَجَّلَةٌ مِنْ حَلَاوَةِ الطَّاعَةِ وَرَوْحِ الْقُرْبِ، وَمُؤَجَّلَةٌ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ جَنَّةُ الثَّوَابِ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي جِنَانِ الدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ تَفَاوُتِ مَقَادِيرِ أَحْوَالِهِمْ، كَمَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْآخِرَةِ فِي دَرَجَاتِهِمْ؛ فَجَنَّةُ حَلَاوَةِ

(٤٦) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٢/ص٣١.
(٤٧) المصدر نفسه، ج٣/ص١٣٥.

الطَّاعَةِ لِأَهْلِ الْيَمِينِ، وَجَنَّةُ رَوْحِ الْقُرْبِ لِلْمُقَرَّبِينَ، أَوْ جَنَّةُ الْبَقَاءِ وَجَنَّةُ التَّرَقِّي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءٍ. (٤٨)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ } أَيْ: مُقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكِ أَمْرِهِ يَوْمَ الطَّامَّةِ الْكُبْرَى، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى، { وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ } الْمُرْدِيّ، أَيْ: زَجَرَهَا عَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ الْفَانِيَةِ، وَلَمْ يَعْتَدَّ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَلَمْ يَغْتَرَّ بِزَخَارِفِهَا وَزِينَتِهَا، عِلْمًا مِنْهُ بِوَخَامَةِ عَاقِبَتِهَا، وَقِيلَ: هُوَ الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَتَذَكَّرُ مَقَامَهُ لِلْحِسَابِ فَيَتْرُكُهَا، وَالْهَوَى: مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى مَا تَهْوَى مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِالشَّرِيعَةِ، { فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ } لَهُ لَا لِغَيْرِهِ. (٤٩)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢١]

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ مِنَ الرَّحِمِ، وَمُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحُضُورِ مَجَالِسِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَالِاقْتِدَاءِ بِقَوْلِهِمْ، وَالِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِمْ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ: غَضَبَهُ وَعَذَابَهُ، أَوْ إِبْعَادَهُ وَطَرْدَهُ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ: مُنَاقَشَتَهُ، فَيُحَاسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبُوا(٥٠).

(٤٨) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٧/ص٢٨٠.
(٤٩) المصدر نفسه، ج٧/ص٢٣٣.
(٥٠) المصدر نفسه، ج٣/ص٢١.

فَلَا تَغْتَرَّ بِمَكَانٍ صَالِحٍ، فَلَا مَكَانَ أَصْلَحُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَقِيَ فِيهَا آدَمُ مَا لَقِيَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه:١٢١]

وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ بَعْدَ طُولِ الْعِبَادَةِ لَقِيَ مَا لَقِيَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤

وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ بَلْعَامَ بْنَ بَاعُورَاءَ لَقِيَ مَا لَقِيَ، وَكَانَ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥]

وَلَا تَغْتَرَّ بِلِقَاءِ الصَّالِحِينَ وَرُؤْيَتِهِمْ، فَلَا شَخْصَ أَصْلَحُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ أَعْدَاؤُهُ وَالْمُنَافِقُونَ،[٥١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١]

وَالْخَوْفُ لَيْسَ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ قَصْدَ الْوَسَائِلِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالْخَوْفُ الْمَحْمُودُ الصَّادِقُ: مَا حَجَزَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ. [٥٢]

---

[٥١] الفيومي، محمد حسن بن علي بن سليمان البدر، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، ج١٣/ص٢٧٧. بتصرف؛ ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٥١٠. بتصرف.

[٥٢] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج١/ص٥١٠. بتصرف.

مَا الْآثَارُ الطَّيِّبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ وَالسُّلُوكِ، وَمَا الْآثَارُ السَّيِّئَةُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى غِيَابِهِ؟

يُعَدُّ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الْعَظِيمَةِ، وَمِنَ الْمَقَامَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي تَظْهَرُ آثَارُهَا فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ وَظَاهِرِهِ، إِذْ يَحْمِلُ الْمُسْلِمَ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَمُجَاهَدَةِ الْهَوَى، وَالْتِزَامِ أَوَامِرِ الشَّرْعِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ. وَتَكْمُنُ قِيمَةُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ فِي أَثَرِهِ الْعَمَلِيِّ فِي إِصْلَاحِ الْقَلْبِ وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ، لَا فِي مُجَرَّدِ الشُّعُورِ بِالرَّهْبَةِ أَوِ الْحُزْنِ؛ فَالْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مِنَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَكُفُّ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَيَقُودُ إِلَى التَّقْوَى وَالِاسْتِقَامَةِ.

أَوَّلًا: الْآثَارُ الطَّيِّبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى [٥٣]

تَتَجَلَّى الْآثَارُ الطَّيِّبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِصْلَاحِ الْقَلْبِ، وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ، وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ، وَمِنْ أَبْرَزِهَا مَا يَأْتِي:

١ .إِحْيَاءُ الْقَلْبِ وَتَنْبِيهُهُ مِنَ الْغَفْلَةِ:

يُسْهِمُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِيقَاظِ الْقَلْبِ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَتَنْبِيهِهِ إِلَى حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَحَمْلِهِ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي الْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ وَالْعَوَاقِبِ، فَالْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، يُبْصِرُ بِهِ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

---

[٥٣] دولة، سهاد تحسين إلياس، **الخوف والرجاء في القرآن الكريم**، ص١١١؛ الشمسان، عبد الرحمن بن سليمان، **الخوف والرجاء في الكتاب والسنة**، ص٣١٣. بتصرف.

٢ .رِقَّةُ الْقَلْبِ وَزِيَادَةُ الْخُشُوعِ:

مِنْ آثَارِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رِقَّةُ الْقَلْبِ، وَالْخُشُوعُ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ وَسَمَاعِ آيَاتِهِ، وَالْحُزْنُ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ، وَالْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَتِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وَهَذِهِ الْمَظَاهِرُ تَكُونُ مَحْمُودَةً حِينَ تَصْحَبُهَا اسْتِقَامَةٌ فِي الْعَمَلِ، وَتَوْبَةٌ صَادِقَةٌ، وَإِقْبَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

٣ .الِالْتِزَامُ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ:

يَدْفَعُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُسْلِمَ إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي النَّوَافِلِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ :قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

فَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، إِذَا اقْتَرَنَ بِالرَّجَاءِ، كَانَ بَاعِثًا عَلَى الْعَمَلِ، وَدَافِعًا إِلَى الِاسْتِقَامَةِ.

٤ .اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي وَمُجَاهَدَةُ الشَّهَوَاتِ:

مِنْ أَهَمِّ ثَمَرَاتِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَحُولَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَيُعِينَهُ عَلَى مُقَاوَمَةِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا، فَلَا يَسْتَرْسِلَ مَعَ الرَّغَبَاتِ الَّتِي تُخَالِفُ الشَّرْعَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠–٤١].

وَتَدُلُّ الْآيَتَانِ عَلَى ارْتِبَاطِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَكَفِّهَا عَنِ الْهَوَى.

٥ .مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ وَمُرَاجَعَةُ الْأَعْمَالِ:

يَحْمِلُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُسْلِمَ عَلَى النَّظَرِ فِي أَعْمَالِهِ، وَاسْتِدْرَاكِ تَقْصِيرِهِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْحِسَابِ، وَمِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْعَبْدُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، مَعَ خَوْفِهِ مِنَ التَّقْصِيرِ وَعَدَمِ الْقَبُولِ، فَلَا يَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ عَمَلِهِ، وَلَا يَأْمَنَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

٦ .تَحْقِيقُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى:

يَظْهَرُ صِدْقُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوَرَعِ عَنِ الْآثَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَفِي الْتِزَامِ حُدُودِ الشَّرْعِ، وَالْحَذَرِ مِمَّا يُوقِعُ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ تَتَجَاوَزُ آثَارُ الْخَوْفِ حُدُودَ الِانْفِعَالِ الْقَلْبِيِّ إِلَى سُلُوكٍ مُنْضَبِطٍ يَقُومُ عَلَى امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

٧ .الشَّجَاعَةُ فِي قَوْلِ الْحَقِّ وَالِانْتِصَارِ لَهُ:

يُعِينُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُسْلِمَ عَلَى تَقْدِيمِ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَلَى اعْتِبَارَاتِ النَّاسِ حِينَ تَتَعَارَضُ مَعَ الْحَقِّ، وَيُقَوِّيهِ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَقْتَضِي فِيهَا الشَّرْعُ ذَلِكَ، وَلَا يَعْنِي هَذَا إِهْمَالَ الْحِكْمَةِ أَوْ مُرَاعَاةَ الْمَصَالِحِ الْمَشْرُوعَةِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَلَّا يَصْرِفَهُ الْخَوْفُ مِنَ النَّاسِ عَنْ وَاجِبٍ شَرْعِيٍّ.

٨ .تَهْذِيبُ الْمُعَامَلَةِ وَكَفُّ الْأَذَى عَنِ الْآخَرِينَ:

مِنْ عَلَامَاتِ الْخَوْفِ الصَّادِقِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ فِي أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِ وَمُعَامَلَاتِهِ، فَيَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ، وَيَحْفَظَ حُقُوقَهُمْ، وَيَأْمَنَ جَارُهُ شَرَّهُ، فَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادَةِ، بَلْ يَشْمَلُ أَيْضًا تَهْذِيبَ السُّلُوكِ وَتَحَمُّلَ الْمَسْؤُولِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ تُجَاهَ الْآخَرِينَ.

٩ .الْحَدُّ مِنَ التَّعَلُّقِ بِفُضُولِ الدُّنْيَا:

يُسَاعِدُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مُقَاوَمَةِ الِاسْتِرْسَالِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَالْحَدِّ مِنَ التَّعَلُّقِ الْمُفْرِطِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا، وَيَحْمِلُ الْمُسْلِمَ عَلَى تَقْدِيمِ مَا يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ عَلَى مَا يَشْغَلُهُ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْخَوْفَ يُحْرِقُ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ فِي الْقَلْبِ، وَيَطْرُدُ التَّعَلُّقَ بِالدُّنْيَا. (٥٤)

ثَانِيًا :الْآثَارُ السَّلْبِيَّةُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى غِيَابِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ ضَعْفِهِ

إِنَّ ضَعْفَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ غِيَابَهُ قَدْ يُفْضِي إِلَى اخْتِلَالَاتٍ فِي الْقَلْبِ وَالسُّلُوكِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا اقْتَرَنَ بِالْغَفْلَةِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَوْعِظَةِ .وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْآثَارِ:

١ .الْغَفْلَةُ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ:

قَدْ يُؤَدِّي ضَعْفُ اسْتِحْضَارِ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَضَعْفِ التَّأَثُّرِ بِالْمَوْعِظَةِ، وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَقَدْ حَذَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢]

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَعُفَ عِنْدَهُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَلْزَمُهُ قَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا أَنَّ الْغَفْلَةَ وَالْقَسْوَةَ مِنَ الْمَخَاطِرِ الَّتِي يَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْهَا.

٢ .التَّهَاوُنُ بِالطَّاعَاتِ وَالتَّقْصِيرُ فِي الْوَاجِبَاتِ:

قَدْ يَضْعُفُ الدَّافِعُ إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْقُرُبَاتِ عِنْدَ ضَعْفِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَتَسَاهَلُ الْمُسْلِمُ فِي بَعْضِ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ يَقِلُّ اجْتِهَادُهُ فِي الطَّاعَاتِ، وَهَذَا اسْتِنْتَاجٌ تَرْبَوِيٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِالْتِزَامَ بِالطَّاعَاتِ مِنْ أَبْرَزِ آثَارِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ.

(٥٤) النيسابوري، عبد الملك بن محمد إبراهيم، **تهذيب الأسرار**، ص١٤٨.

٣ .التَّجَرُّؤُ عَلَى الْمَعَاصِي وَاتِّبَاعُ الْهَوَى:

إِذَا ضَعُفَ الرَّادِعُ الْإِيمَانِيُّ، فَقَدْ يَسْهُلُ عَلَى النَّفْسِ الِاسْتِرْسَالُ فِي الشَّهَوَاتِ، وَالتَّهَاوُنُ بِالْمُحَرَّمَاتِ، وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلِهَذَا قَرَنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَيْنَ الْخَوْفِ مِنْ مَقَامِ اللَّهِ وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠]

٤ .إِهْمَالُ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ وَالِاغْتِرَارُ بِالْأَعْمَالِ:

قَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَى ضَعْفِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقِلَّ اهْتِمَامُ الْإِنْسَانِ بِمُرَاجَعَةِ أَعْمَالِهِ وَاسْتِدْرَاكِ تَقْصِيرِهِ، أَوْ أَنْ يَغْتَرَّ بِمَا يُؤَدِّيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَيَغْفُلَ عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَحُقُوقِ الْعِبَادِ، وَوُجُوبِ التَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَيُخَالِفُ ذَلِكَ حَالَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْوَجَلِ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْحِسَابِ.

٥ .غَلَبَةُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ:

قَدْ يُؤَدِّي ضَعْفُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى اسْتِيلَاءِ الِاهْتِمَامِ بِالْمَصَالِحِ الْعَاجِلَةِ وَاللَّذَّاتِ الْفَانِيَةِ عَلَى الْقَلْبِ، وَإِلَى تَقْدِيمِ الْهَوَى عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الطَّاعَةُ وَالِاسْتِقَامَةُ، وَهَذَا أَثَرٌ مُحْتَمَلٌ يُقَابِلُ مَا ذَكَرَهُ النَّصُّ مِنْ دَوْرِ الْخَوْفِ فِي مُقَاوَمَةِ الشَّهَوَاتِ وَالْحَدِّ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا.

٦ .الضَّعْفُ عَنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ عِنْدَ الْخَوْفِ مِنَ النَّاسِ:

إِذَا غَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ الْخَوْفُ مِنَ النَّاسِ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ فِيهِ قَوْلُ الْحَقِّ، فَقَدْ يَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى كِتْمَانِهِ أَوِ التَّرَاجُعِ عَنْ نُصْرَتِهِ، وَهَذَا الْأَثَرُ لَا يَنْشَأُ بِالضَّرُورَةِ مِنْ مُجَرَّدِ ضَعْفِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَقَعُ حِينَ يَحُلُّ الْخَوْفُ مِنَ النَّاسِ مَحَلَّ مُرَاعَاةِ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ مَوْقِفًا شَرْعِيًّا وَاضِحًا

٧ .ضَعْفُ الِانْضِبَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِينَ:

قَدْ يُؤَدِّي ضَعْفُ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى التَّسَاهُلِ فِي حُقُوقِ النَّاسِ، أَوِ الِاسْتِهَانَةِ بِأَذَاهُمْ، أَوِ التَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ وَالْوَاجِبَاتِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ النَّتِيجَةَ لَيْسَتْ لَازِمَةً لِكُلِّ مَنْ ضَعُفَ خَوْفُهُ، وَإِنَّمَا هِيَ خَطَرٌ تَرْبَوِيٌّ مُحْتَمَلٌ حِينَ يَضْعُفُ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَلَا يَقُومُ مَقَامَهُ رَادِعٌ أَخْلَاقِيٌّ كَافٍ.

ثَالِثًا :الضَّابِطُ الشَّرْعِيُّ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

لَا تُقَاسُ قِيمَةُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِشِدَّتِهِ وَحْدَهَا، وَلَا بِمُجَرَّدِ مَا يُصَاحِبُهُ مِنْ حُزْنٍ أَوْ بُكَاءٍ، وَإِنَّمَا يُنْظَرُ إِلَى أَثَرِهِ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَةِ الْعَمَلِ، فَالْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مِنَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْوَرَعِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، أَمَّا إِذَا تَجَاوَزَ حَدَّهُ الْمَشْرُوعَ حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَقَدِ انْقَلَبَ عَنْ مَقْصُودِهِ التَّرْبَوِيِّ؛ لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَرِنَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ فِي رَحْمَتِهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

خُلَاصَةٌ

تَتَمَثَّلُ الْآثَارُ الطَّيِّبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِحْيَاءِ الْقَلْبِ وَتَنْبِيهِهِ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَزِيَادَةِ الْخُشُوعِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَتَحْقِيقِ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَالشَّجَاعَةِ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ، وَحُسْنِ مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ، وَالْحَدِّ مِنَ التَّعَلُّقِ بِفُضُولِ الدُّنْيَا، أَمَّا ضَعْفُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ أَوْ غِيَابُهُ، فَقَدْ يَقْتَرِنُ بِالْغَفْلَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَالتَّهَاوُنِ بِالطَّاعَاتِ، وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَإِهْمَالِ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَالِاغْتِرَارِ بِالْأَعْمَالِ، وَضَعْفِ الِانْضِبَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ، وَهَذِهِ الْآثَارُ السَّلْبِيَّةُ مَخَاطِرُ مُحْتَمَلَةٌ، وَلَيْسَتْ أَحْكَامًا لَازِمَةً عَلَى كُلِّ مَنْ ضَعُفَ خَوْفُهُ؛ إِذْ تَخْتَلِفُ أَحْوَالُ النَّاسِ وَدَرَجَاتُ إِيمَانِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ.

وَالْخَائِفُ الصَّادِقُ فِي خَوْفِهِ دَائِمًا لَا يَفْتُرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَا يُقَصِّرُ عَنِ الشُّكْرِ لِلَّهِ، قَدْ طَرَدَ خَوْفُهُ الْكَسَلَ، لَا يَتَبَرَّمُ، وَلَا يَفْتُرُ، وَلَا يَمَلُّ، فَإِذَا صَارَ هَكَذَا، فَقَدْ نَزَّلَ نَفْسَهُ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً جَسِيمَةً عِنْدَ الْعَامَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَهَا، وَلَا يُبْصِرُونَهَا؛ فَهِيَ عِنْدَ الْمُبْصِرِينَ أَرْفَعُ الْمَنَازِلِ، فَإِنْ شَاءَ، فَلْيَلْزَمْ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَإِنْ شَاءَ، فَلْيَنْزِلْ مَنْزِلَةَ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، مَعَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْخَوْفِ.[٥٥]

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٥٥] شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص١٩.

الشوق إلى الجنة

مَا حَقِيقَةُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا عَلَاقَتُهُ بِالْمَحَبَّةِ؟

الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ هُوَ تَطَلُّعُ الْقَلْبِ إِلَى بُلُوغِهَا، وَالتَّوْقَانُ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا لِعِبَادِهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَيْلِ رِضْوَانِهِ، وَهُوَ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَمَنٍّ لِنَعِيمِ الْجَنَّةِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَاعِثًا عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ.

وَأَمَّا عَلَاقَتُهُ بِالْمَحَبَّةِ، فَإِنَّ الشَّوْقَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْمَحَبَّةِ، وَحُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهَا؛ فَإِنَّهُ سَفَرُ الْقَلْبِ إِلَى الْمَحْبُوبِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَاهْتِيَاجُ الْقُلُوبِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْمَحَبَّةُ أَصْلٌ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الشَّوْقُ؛ فَلِذَلِكَ كَانَتْ أَعْلَى مِنْهُ، إِذْ يَقْوَى الشَّوْقُ بِقُوَّةِ الْمَحَبَّةِ، وَيَضْعُفُ بِضَعْفِهَا.[٥٦]

وَبِذَلِكَ، يَكْشِفُ الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ عَمَّا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالرَّغْبَةِ فِي لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَيْلِ كَرَامَتِهِ، وَتَظْهَرُ ثَمَرَتُهُ فِي سُلُوكِ الْعَبْدِ بِمُبَادَرَتِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَمُجَاهَدَتِهِ لِنَفْسِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى مَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

كَيْفَ يَبْدَأُ الْعَبْدُ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا أَبْرَزُ صِفَاتِ الْمُشْتَاقِ إِلَى الْجَنَّةِ؟

يَبْدَأُ الْعَبْدُ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ بِالتَّفَكُّرِ فِي نَعِيمِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا لِسَاكِنِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَشْوِيقِ نَفْسِهِ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ؛ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِي قَلْبِهِ نُورُ الشَّوْقِ إِلَيْهَا، وَلَا يَقِفُ هَذَا الشَّوْقُ عِنْدَ مُجَرَّدِ التَّمَنِّي، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَ الْعَبْدَ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَالْحِرْصِ عَلَى مَا يُقَرِّبُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. [٥٧]

---

[٥٦] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣/ص٥٢.
[٥٧] شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص٢٠.

وَمِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ الْمُشْتَاقِ إِلَى الْجَنَّةِ شِدَّةُ الْمَحَبَّةِ، وَدَوَامُ الْإِحْسَانِ، وَصِدْقُ الْمَقَالِ، وَكَرَمُ الْخِصَالِ، وَالْبَشَاشَةُ وَالِاسْتِبْشَارُ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْبُخْلِ وَالْمَنِّ وَالْهَمْزِ.(٥٨)

وَلَا يَقْتَصِرُ أَثَرُ الشَّوْقِ الصَّادِقِ عَلَى مَا يَسْتَقِرُّ فِي الْقَلْبِ، بَلْ يَظْهَرُ فِي سُلُوكِ الْعَبْدِ وَأَخْلَاقِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنْ تَنْكَفَّ الْجَوَارِحُ عَنِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي تُعَارِضُ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

"وَعَلَامَةُ الشَّوْقِ فِطَامُ الْجَوَارِحِ عَنِ الشَّهَوَاتِ". (٥٩)

فَإِذَا آمَنَ الْعَبْدُ بِاللَّهِ وَاسْتَحْكَمَ إِيمَانُهُ خَافَ اللَّهَ، وَتَوَلَّدَ مِنْ خَوْفِهِ هَيْبَةُ اللَّهِ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ هَيْبَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ دَامَتْ طَاعَتُهُ لِرَبِّهِ، وَتَوَلَّدَ مِنْ طَاعَتِهِ الرَّجَاءُ، ثُمَّ تَوَلَّدَ مِنَ الرَّجَاءِ الْمَحَبَّةُ، فَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ مَعَانِي الْمَحَبَّةِ فِي قَلْبِهِ حَلَّتْ بِهِ دَرَجَةُ الشَّوْقِ، وَأَدَّاهُ الشَّوْقُ إِلَى الْأُنْسِ بِاللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِلَى الطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ؛ فَيَصِيرُ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ، وَسِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، فِي نَعِيمٍ بِاللَّهِ تَعَالَى.(٦٠)

مَا هِيَ مَقَامَاتُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟

وَالشَّوْقُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَقَامَاتٍ: الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالشَّوْقُ إِلَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحَظِّ وَالنَّعِيمِ، وَالشَّوْقُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَالشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ لِمُجَاوَرَةِ الْحَقِّ، وَالشَّوْقُ إِلَى مَا فِي الْجَنَّةِ لِلَذَّةِ الْأَعْيُنِ، وَالشَّوْقُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَمُحَادَثَتُهُ وَكَلَامُهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فَآفَةُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ حُبُّ الدُّنْيَا، وَآفَةُ الشَّوْقِ إِلَى مَا فِي الْجَنَّةِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ، وَآفَةُ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَجْزُ فِي الْمُسَابَقَةِ بِالِاجْتِهَادِ لِمَحَبَّةِ النَّفْسِ وَالرِّفْقِ بِهَا. (٦١)

(٥٨) شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص٢٠.
(٥٩) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج٢/ص٤٩٧.
(٦٠) ابن رجب الحنبلي، **استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس**، ص ٣٦٠
(٦١) أبو منصور الأصبهاني، معمر بن أحمد، **نهج الخاص**، ص ٥٤.

وَيَتَمَيَّزُ كُلُّ مَقَامٍ مِنْهَا بِمَطْلُوبِهِ، وَتَعْتَرِيهِ آفَةٌ قَدْ تُضْعِفُ أَثَرَهُ فِي الْقَلْبِ وَالسُّلُوكِ، وَهِيَ كَمَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَهُوَ تَطَلُّعُ الْقَلْبِ إِلَى الْجَنَّةِ رَغْبَةً فِي بُلُوغِهَا وَمُجَاوَرَةِ الْحَقِّ تَعَالَى، وَالْفَوْزِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِعِبَادِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ .

وَآفَةُ هَذَا الْمَقَامِ حُبُّ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ التَّعَلُّقَ بِهَا وَالِانْشِغَالَ بِزَخَارِفِهَا قَدْ يُضْعِفَانِ شَوْقَ الْقَلْبِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَحُولَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ.

ثَانِيًا: الشَّوْقُ إِلَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحَظِّ وَالنَّعِيمِ.

وَهُوَ الشَّوْقُ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَصْنَافِ النَّعِيمِ وَمَلَذَّاتِ الْأَعْيُنِ .وَآفَةُ هَذَا الْمَقَامِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ؛ إِذْ قَدْ يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ بِالْمَلَذَّاتِ وَالْحُظُوظِ، حَتَّى يَقْتَصِرَ هَمُّهُ عَلَيْهَا، دُونَ الِارْتِقَاءِ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا مِنَ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَنَيْلِ رِضَاهُ.

ثَالِثًا: الشَّوْقُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَهُوَ الشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْقُرْبِ وَالْكَرَامَةِ .

وَآفَةُ هَذَا الْمَقَامِ الْعَجْزُ عَنِ الْمُسَابَقَةِ بِالِاجْتِهَادِ، بِسَبَبِ مَحَبَّةِ النَّفْسِ وَالرِّفْقِ بِهَا؛ أَيْ: أَنْ يَتَعَلَّقَ الْعَبْدُ بِمَحَبَّةِ نَفْسِهِ وَرَاحَتِهَا، فَيَتَرَاخَى عَنِ الْمُجَاهَدَةِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ، وَيَفُوتَهُ بِذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ صِدْقُ الشَّوْقِ مِنَ الْمُسَارَعَةِ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ أَنَّ مَقَامَاتِ الشَّوْقِ تَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ مَطْلُوبِ الْقَلْبِ، وَأَنَّ تَحْقِيقَهَا يَقْتَضِي مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ وَالْحَذَرَ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَصْرِفُهُ عَنْ غَايَتِهِ؛ فَلَا يَسْتَغْرِقُ فِي حُبِّ

الدُّنْيَا، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حُظُوظِ النَّعِيمِ، وَلَا يَتَرَاخَى عَنِ الِاجْتِهَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ.

مَا دَلَالَةُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؟

تَدُلُّ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى عَلَى مَنْزِلَةِ الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّتِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ وَالْعَارِفِينَ؛ إِذْ يَتَجَلَّى هَذَا الشَّوْقُ فِي طَلَبِ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّطَلُّعِ إِلَى لِقَائِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

أَوَّلًا :دَلَالَةُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ.

مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [العنكبوت: ٥-٦].

ذَكَرَ الْحَامِلَ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ الِامْتِحَانِ، وَهُوَ رَجَاءُ لِقَاءِ الْحَبِيبِ، فَقَالَ: { مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ } أَيْ: يَأْمُلُ ثَوَابَهُ، أَوْ يَخَافُ حِسَابَهُ، أَوْ يَنْتَظِرُ رُؤْيَتَهُ، { فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ} الْمَضْرُوبَ لِلْغَايَةِ {لَأٓتٖ } لَا مَحَالَةَ، وَفِيهِ تَبْشِيرٌ بِأَنّ اللِّقَاءَ حَاصِلٌ لِأَنَّهُ لِأَجَلٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، وَكُلُّ غَايَةٍ لَهَا انْقِضَاءٌ، فَلْيُبَادِرْ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُصَدِّقُ رَجَاءَهُ وَيُحَقِّقُ أَمَلَهُ. { وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ} لِمَا يَقُولُهُ عِبَادُهُ، { ٱلۡعَلِيمُ } بِمَا يَفْعَلُونَهُ، فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ.

{ وَمَن جَٰهَدَ } نَفْسَهُ، بِالصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ، وَرَفْضِ الشَّهَوَاتِ، وَإِذَايَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَحَبْسَ النَّفْسَ عَلَى مُرَاقَبَةِ الْحَقِّ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللَّحَظَاتِ، { فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ } لِأَنّ

مَنْفَعَةَ ذَلِكَ لَهَا، { إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ } وَعَنْ طَاعَتِهِمْ وَمُجَاهَدَتِهِمْ، وَإِنَّمَا أَمَرَ وَنَهَى رَحْمَةً لَهُمْ.(٦٢)

وَهَذَا بِمَعْنَى: أَيْ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَائِي فَهُوَ مُشْتَاقٌ إِلَيَّ، فَقَدْ أَجَّلْتُ لَهُ أَجَلًا يَكُونُ عَنْ قَرِيبٍ، فَإِنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ.(٦٣)

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

فَالْمُرَابَطَةُ: أَنْ يَرْبِطَ هَؤُلَاءِ خُيُولَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ خُيُولَهُمْ، إِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَهُمْ، ثُمَّ أُطْلِقَ هَذَا الِاسْمُ عَلَى كُلِّ مُقِيمٍ فِي ثَغْرٍ يَدْفَعُ عَمَّنْ وَرَاءَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرْكَبٌ، إِذَا كَانَتْ نِيَّتُهُ الدَّفْعَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، سَوَاءٌ أَكَانَ مَعَ أَهْلِهِ أَمْ وَحْدَهُ؛ فَالْمِدَارُ عَلَى خُلُوصِ النِّيَّةِ.

أَوْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ، وَمَا يُصِيبُكُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَزَمَاتِ، وَعَلَى مُجَانَبَةِ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ، وَعَلَى شُكْرِ مَا أَوْلَيْتُكُمْ مِنْ مَوَاهِبِ الْعَطِيَّاتِ، وَصَابِرُوا، أَيْ: غَالِبُوا الْأَعْدَاءَ فِي مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَالثَّبَاتِ فِي مَدَاحِضِ الْحَرْبِ، وَرَابِطُوا أَبْدَانَكُمْ وَخُيُولَكُمْ فِي الثُّغُورِ؛ لِتَحْفَظُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَدُوِّ الْكَفُورِ، كَيْ تَفُوزُوا بِعَظَائِمِ الْأُجُورِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فَلَاحًا لَا خُسْرَانَ بَعْدَهُ أَبَدًا.(٦٤)

---

(٦٢) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٤/ص٢٨٧.

(٦٣) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣/ص٥٢.

(٦٤) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج١/ص٤٥٧. بتصرف.

وَقَوْلُهُ: {اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ} انْتِقَالٌ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى؛ فَالصَّبْرُ دُونَ الْمُصَابَرَةِ، وَالْمُصَابَرَةُ دُونَ الْمُرَابَطَةِ، وَالْمُرَابَطَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الرَّبْطِ، وَهُوَ الشَّدُّ، وَسُمِّيَ الْمُرَابِطُ مُرَابِطًا؛ لِأَنَّ الْمُرَابِطِينَ يَرْبِطُونَ خُيُولَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَزَعَ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مُنْتَظِرٍ قَدْ رَبَطَ نَفْسَهُ لِطَاعَةٍ يَنْتَظِرُهَا: مُرَابِطٌ.[٦٥]

وَقِيلَ: اصْبِرُوا بِنُفُوسِكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَابِرُوا بِقُلُوبِكُمْ عَلَى الْبَلْوَى فِي اللَّهِ، وَرَابِطُوا بِأَسْرَارِكُمْ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ، وَقِيلَ: اصْبِرُوا فِي اللَّهِ، وَصَابِرُوا بِاللَّهِ، وَرَابِطُوا مَعَ اللَّهِ. [٦٦]

وَقِيلَ: اصْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ، وَصَابِرُوا عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ، وَاتَّقُوا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ.[٦٧]

وَالْمَعْنَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (إِيمَانُ أَهْلِ الْخُصُوصِ،)اصْبِرُوا عَلَى حِفْظِ مَرَاسِمِ الشَّرِيعَةِ، وَصَابِرُوا عَلَى تَحْصِيلِ أَنْوَارِ الطَّرِيقَةِ، وَرَابِطُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى شُهُودِ أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ.

أَوْ: اصْبِرُوا عَلَى أَدَاءِ الْعِبَادَةِ، وَصَابِرُوا عَلَى تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَرَابِطُوا فِي تَحْصِيلِ الْعُبُودَةِ، أَيْ :الْحُرِّيَّةِ.

أَوْ: اصْبِرُوا عَلَى تَحْقِيقِ مَقَامِ الْإِسْلَامِ، وَصَابِرُوا عَلَى دَوَامِ الْإِيمَانِ، وَرَابِطُوا عَلَى الْعُكُوفِ فِي مَقَامِ الْإِحْسَانِ.

أَوْ: اصْبِرُوا عَلَى تَخْلِيصِ الطَّاعَاتِ، وَصَابِرُوا عَلَى رَفْضِ الْحُظُوظِ وَالشَّهَوَاتِ، وَرَابِطُوا أَسْرَارَكُمْ عَلَى أَنْوَارِ الْمُشَاهَدَاتِ.

---

(٦٥) الفيومي، حسن بن علي بن سليمان البدر، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب**، ج١٣/ص٣٤١.

(٦٦) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج١/ص٣٢٥.

(٦٧) محيي السنة البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج٢/ص١٥٧.

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) فَلَا تَشْهَدُوا مَعَهُ سِوَاهُ، (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) بِتَحْقِيقِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ .وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. (٦٨)

ثَانِيًا :دَلَالَةُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.**(٦٩)

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:

"اللهُمّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَقُرّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرّضَا بِالْقَضَاءِ، وَبَرَدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذّةَ النّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرّاءٍ مُضِرّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلّةٍ، اللهُمّ زَيّنّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ". **رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.** (٧٠)

وَدَلَالَةُ هَذَا الدُّعَاءِ أَنَّ الشَّوْقَ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَقَامٌ يَسْأَلُ الْعَبْدُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ إِيَّاهُ، وَأَنَّ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ .كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ :"مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ" يُبَيِّنُ أَنَّ الشَّوْقَ الْمَحْمُودَ إِلَى اللِّقَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَابِعًا مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، لَا مِنْ ضِيقٍ بِالدُّنْيَا أَوْ خَوْفٍ مِنَ الْفِتَنِ .

---

(٦٨) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج١/ص٤٥٧.

(٦٩)البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم: (٦٥٠٨)، ج٨/ص١٠٦.

(٧٠) النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى**، كتاب المساجد، نوع آخر من الدعاء، حديث رقم: (١٢٢٩، ١٢٣٠)، ج٢/ص٨١-٨٢. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه" (**المستدرك على الصحيحين**، ج١/ص٧٠٥)، وقال الشوكاني: " الحديث رجال إسناده ثقات". (**نيل الأوطار**، ج٢/ص٣٤٢).

وَالْخُلَاصَةُ :أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ تُبَيِّنُ أَنَّ الشَّوْقَ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَجَاوَزُ مُجَرَّدَ التَّطَلُّعِ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِيَبْلُغَ التَّطَلُّعُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ وَهُوَ شَوْقٌ يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الْمُبَادَرَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى.

مَا أَثَرُ رَجَاءِ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ؟

يَبْعَثُ رَجَاءُ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالشَّوْقُ إِلَيْهِ فِي الْقَلْبِ قُوَّةً عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَمُخَالَفَةِ أَهْوَائِهَا؛ لِأَنَّ الْمُشْتَاقَ يَجِدُ فِي الطَّاعَةِ حَلَاوَةً، وَفِي الْعِبَادَةِ لَذَّةً، وَفِي الذِّكْرِ أُنْسًا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَيَطِيبُ لَهُ السَّيْرُ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ احْتِمَالُ مَشَقَّتِهَا لِمَا يَرْجُوهُ مِنْ لِقَائِهِ.

وَالْعَارِفِينَ الْمُحِبِّينَ يَجِدُونَ فِي الدُّنْيَا حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ، وَلَذَّةَ الْمُعَامَلَةِ، وَاسْتِنَارَةَ الْقُلُوبِ، وَأَنَّ مِمَّا يَمِيزُ أَهْلَ الْأُنْسِ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ لَذَّةَ الْأُنْسِ بِهِ فِي الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ، وَيَطِيبُ لَهُمُ السَّيْرُ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ .

وَلَا يَعْنِي صِدْقُ الشَّوْقِ أَنْ يَطْلُبَ الْعَبْدُ انْقِطَاعَ الْعَمَلِ بِالْمَوْتِ؛ بَلْ يَبْقَى مُقْبِلًا عَلَى الطَّاعَةِ، مُسْتَكْثِرًا مِنَ الْخَيْرِ، مُجَاهِدًا لِنَفْسِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى .

وَالْخُلَاصَةُ :أَنَّ رَجَاءَ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يُحَوِّلُ مَشَقَّةَ الطَّاعَةِ إِلَى سَبِيلٍ لِلْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ، وَيُقَوِّي الْعَبْدَ عَلَى الصَّبْرِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَيَجْعَلُ الذِّكْرَ وَالْعِبَادَةَ مَصْدَرًا لِلْأُنْسِ وَاللَّذَّةِ، فَيُوَاصِلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ رَجَاءَ الْوُصُولِ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِقَائِهِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ مِفْتَاحًا يُفْتَحُ بِهِ، فَجَعَلَ مِفْتَاحَ الصَّلَاةِ الطُّهُورَ، وَمِفْتَاحَ الْحَجِّ الْإِحْرَامَ، وَمِفْتَاحَ الْبِرِّ الصِّدْقَ، وَمِفْتَاحَ الْجَنَّةِ التَّوْحِيدَ، وَمِفْتَاحَ الْعِلْمِ حُسْنَ السُّؤَالِ وَحُسْنَ الْإِصْغَاءِ، وَمِفْتَاحَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ الصَّبْرَ، وَمِفْتَاحَ الْمَزِيدِ الشُّكْرَ، وَمِفْتَاحَ الْوِلَايَةِ الْمَحَبَّةَ وَالذِّكْرَ، وَمِفْتَاحَ الْفَلَاحِ التَّقْوَى، وَمِفْتَاحَ التَّوْفِيقِ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ، وَمِفْتَاحَ الْإِجَابَةِ الدُّعَاءَ، وَمِفْتَاحَ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَمِفْتَاحَ الْإِيمَانِ

التَّفَكُّرَ فِيمَا دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ، وَمِفْتَاحَ الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ إِسْلَامَ الْقَلْبِ وَسَلَامَتَهُ لَهُ، وَالْإِخْلَاصَ لَهُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ وَالْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَمِفْتَاحَ حَيَاةِ الْقَلْبِ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَالتَّضَرُّعَ بِالْأَسْحَارِ، وَتَرْكَ الذُّنُوبِ، وَمِفْتَاحَ حُصُولِ الرَّحْمَةِ الْإِحْسَانَ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَالسَّعْيَ فِي نَفْعِ عَبِيدِهِ، وَمِفْتَاحَ الرِّزْقِ السَّعْيَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّقْوَى، وَمِفْتَاحَ الْعِزِّ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِفْتَاحَ الِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ قَصْرَ الْأَمَلِ، وَمِفْتَاحَ كُلِّ خَيْرٍ الرَّغْبَةَ فِي اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمِفْتَاحَ كُلِّ شَرٍّ حُبَّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْأَمَلِ.[٧١]

مَا أَطْيَبُ مَا فِي الْجَنَّةِ، وَمَا مَنْزِلَةُ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّوْقِ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ؟

أَطْيَبُ مَا فِي الْجَنَّةِ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَجَلُّهُ .ومَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا طَابَتِ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَلَا طَابَتِ الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ[٧٢]، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[٧٣]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:" إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ :أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ. قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ".

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

وَزَادَ: ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس: ٢٦]

---

[٧١] ابن قيم الجوزية، حادي **الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ج١/ص١٣٨-١٣٩.

[٧٢] أبو الفرج ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢/٤٤٦.

[٧٣] القشيري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث رقم: (٢٩٧، ١٨١/٢٩٨)، ج١/ص١٦٣.

وَإِنَّ أَحِبَّاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ وَرِثُوا طِيبَ الْحَيَاةِ، وَذَاقُوا نَعِيمَهَا بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مُنَاجَاةِ حَبِيبِهِمْ، وَبِمَا وَجَدُوا مِنْ حَلَاوَةِ حُبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ، لَا سِيَّمَا إِذَا خَطَرَ عَلَى بَالِهِمْ ذِكْرُ مُشَافَهَتِهِ، وَكَشْفُ سُتُورِ الْحُجُبِ عَنْهُ فِي الْمَقَامِ الْأَمِينِ وَالسُّرُورِ، وَأَرَاهُمْ جَلَالَهُ، وَأَسْمَعَهُمْ لَذَّةَ كَلَامِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابَ مَا نَاجَوْهُ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ.(٧٤)

وَلَا يَزَالُ الْمُحِبُّونَ يُرَوِّضُونَ أَرْوَاحَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى خَرَجَتْ عَنْ أَبْدَانِ الْهَوَى، وَصَارَتْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ الشَّوْقِ، فَهِيَ تَسْرَحُ فِي رِيَاضِ الْأُنْسِ، وَتَرِدُ حِيَاضَ الْقُدْسِ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلِ الْمَعْرِفَةِ الْمُعَلَّقَةِ فِي الْمَحَلِّ الْأَعْلَى حَوْلَ الْعَرْشِ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: الْقُلُوبُ جَوَّالَةٌ، فَقَلْبٌ يَدُورُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَقَلْبٌ يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ(٧٥)، كُلَّمَا حَلَّتْ نَسَمَاتُ الْقُدْسِ مِنْ أَرْجَاءِ الْأُنْسِ عَلَى أَغْصَانِ قُلُوبِ الْأَحْبَابِ، تَمَايَلَتْ شَوْقًا إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ.(٧٦)

فَفِي الْحَقِيقَةِ، النَّعِيمُ الَّذِي لَا يَنْفَدُ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَذِكْرُهُ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا نَعِيمٌ لِأَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا.(٧٧)

فَلَا تَقَرُّ عَيْنُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذِكْرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ، فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ قُرَّةُ الْعَيْنِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْبَرْزَخِ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَقَرَّتْ بِهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، أَيْ: مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ سِرًّا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ عِنْدَهُ بِمَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ بَشَرًا.(٧٨)

---

(٧٤) أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، **العظمة**، ج١/ص٢٦٠.

(٧٥) الحش: مكان قضاء الحاجة. ويُقصد به هنا أن بعض القلوب تحوم حول الأماكن غير الطهارة التي هي مكان المعاصي والذنوب.

(٧٦) ابن رجب الحنبلي، **شرح حديث لبيك اللهم لبيك**، ص٩٨.

(٧٧) ابن رجب الحنبلي، **شرح حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه**، ص١٧٢.

(٧٨) المصدر نفسه، ص١٧٣-١٧٤. بتصرف.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧]

فَأَمِنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْمَوْتِ فَطَابَ لَهُمُ الْعَيْشُ، وَأَمِنُوا مِنَ الْأَسْقَامِ، فَهَنِيئًا لَهُمْ فِي جِوَارِ اللَّهِ طُولَ الْمَقَامِ. (٧٩)

مَا هِيَ دَرَجَاتُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ؟

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ .وَهُوَ شَوْقُ الْعَبْدِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ لِيَأْمَنَ الْخَائِفُ، وَيَفْرَحَ الْحَزِينُ، وَيَظْفَرَ الْآمِلُ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الشَّوْقُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .وَهُوَ شَوْقٌ يَزْرَعُهُ الْحُبُّ النَّاشِئُ عَنْ مُلَاحَظَةِ مِنَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ، فَيَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ بِصِفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَيَشْتَاقُ إِلَى مُعَايَنَةِ لَطَائِفِ كَرَمِهِ، وَآيَاتِ بِرِّهِ، وَأَعْلَامِ فَضْلِهِ. وَلَا يُنَافِي هَذَا الشَّوْقُ الشَّوْقَ إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ أَطْيَبَ مَا فِيهَا قُرْبُ اللَّهِ تَعَالَى، وَرُؤْيَتُهُ، وَسَمَاعُ كَلَامِهِ، وَرِضَاهُ. وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ الِاقْتِصَارَ فِي الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ عَلَى مُجَرَّدِ مَلَذَّاتِهَا مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحُورِ الْعِينِ دُونَ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقَلُّ مَنْزِلَةً مِنْ شَوْقِ الْمُحِبِّينَ إِلَيْهِ.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الشَّوْقُ الْمُتَقِدُ، وَهُوَ شَوْقٌ كَالنَّارِ، يُؤَجِّجُهُ خَالِصُ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَيَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ السُّكُونِ وَالرَّاحَةِ، وَيُبْقِيهِ فِي تَوَقَانٍ إِلَى أَنْ يَتِمَّ لِقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ وَرُؤْيَتُهُ تَعَالَى. (٨٠)

(٧٩) ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله، **تاريخ مدينة دمشق**، ج٦٥/ص٨٧.
(٨٠) الهروي، عبد الله بن محمد بن علي، **منازل السائرين**، ص٩٢. بتصرف.

وَأَمَّا الشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ أَعْظَمُ لَذَّةٍ تَحْصُلُ لِلْعَارِفِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ فَمَنْ أَنِسَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَاشْتَاقَ إِلَى لِقَائِهِ، فَقَدْ فَازَ بِأَعْظَمِ لَذَّةٍ يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ الْوُصُولُ إِلَيْهَا فِي الدُّنْيَا.[٨١]

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٨١] ابن رجب الحنبلي، **شرح حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه**، ص١٨١.

محبة الله عز وجل

مَا هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

إِنَّهَا الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ، وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ، وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرَوْحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ، وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بَالِغِيهَا، وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا، وَتُبَوِّئُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا، وَهِيَ مَطَايَا الْقَوْمِ الَّتِي مَسْرَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَى الْحَبِيبِ، وَطَرِيقُهُمُ الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمُ الْأُولَى مِنْ قَرِيبٍ؛ تَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ ـ يَوْمَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ ـ: أَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُحِبِّينَ سَابِغَةٍ! [٨٢]

لَقَدْ أَجَابُوا مُنَادِيَ الشَّوْقِ إِذْ نَادَى بِهِمْ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، وَبَذَلُوا نُفُوسَهُمْ فِي طَلَبِ الْوُصُولِ إِلَى مَحْبُوبِهِمْ، وَكَانَ بَذْلُهُمْ بِالرِّضَا وَالسَّمَاحِ، قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَالْمَحَبَّةُ: الْمَيْلُ الدَّائِمُ بِالْقَلْبِ الْهَائِمِ، وَإِيثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَى جَمِيعِ الْمَصْحُوبِ، وَمُوَافَقَةُ الْحَبِيبِ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَأَنْ تَهَبَ كُلَّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ، فَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ، وَالْمُرَادُ: أَنْ تَهَبَ إِرَادَتَكَ وَعَزْمَكَ وَأَفْعَالَكَ وَنَفْسَكَ وَمَالَكَ وَوَقْتَكَ لِمَنْ تُحِبُّهُ،

[٨٢] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣/ص٨.

وَتَجْعَلَهَا حَبْسًا فِي مَرْضَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَلَا تَأْخُذُ لِنَفْسِكَ مِنْهَا إِلَّا مَا أَعْطَاكَ، فَتَأْخُذُهُ مِنْهُ لَهُ؛ فَإِذًا الْمَحَبَّةُ بَذْلُ الْمَجْهُودِ، وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ عَلَى الْمَحْبُوبِ. (٨٣)

مَا مَبْدَأُ الدُّخُولِ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ فِي الْقَلْبِ؟

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ جَازُوا مَنْزِلَةَ الْخَوْفِ وَالشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَصَارُوا إِلَى مَنْزِلَةِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ، فَلَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يَصِيرُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ؛ لِأَنَّهَا أَرْفَعُ الْمَنَازِلِ، وَأَشْرَفُهَا، وَأَبْهَاهَا، وَلَا يُصَيِّرُ اللَّهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ تَقَوَّى قَلْبُهُ عَلَيْهَا بِالْيَقِينِ الصَّادِقِ، وَالْفِعَالِ الْفَائِقِ، الْمُطَهَّرِ مِنَ الذُّنُوبِ، الْمُبَرَّءِ مِنَ الْعُيُوبِ، فَإِذَا صَيَّرَهُ اللَّهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، كَانَ فِي قَلْبِهِ نُورُ الْمَحَبَّةِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَارِقَهُ نُورُ الزُّهْدِ وَالْخَوْفِ وَالشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا يَنْقُصَ مِنْهَا شَيْءٌ، فَيَصِيرُ قَلْبُهُ مُمْتَلِئًا حُبًّا وَشَوْقًا إِلَيْهِ، وَيَنْسَى مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ، وَرَحْمَةً، وَنُورًا، وَإِنْعَامًا عَلَيْهِ، وَمُبْتَدَأُ الدُّخُولِ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ أَنْ يُلْهِمَ قَلْبَهُ مَحَبَّةَ مَا أَحَبَّ اللَّهُ، وَبُغْضَ مَا أَبْغَضَ اللَّهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رِضَاهُ، وَمَنِ ابْتَغَى مَحَبَّةَ اللَّهِ، نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَرَحِمَهُ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْمَحَبَّةَ.(٨٤)

(٨٣) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج٢/ص٤٨٧؛ ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣/ص١٦.
(٨٤) شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، ص٢٠.

مَا هِيَ مَقَامَاتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟

وَالْمَحَبَّةُ عَلَى ثَلَاثِةِ مَقَامَاتٍ: مَحَبَّةٌ مَعْمُومَةٌ، وَمَحَبَّةٌ مَخْصُوصَةٌ، وَمَحَبَّةٌ مِنَ الْحَقِّ؛ فَالْمَحَبَّةُ الْمَعْمُومَةُ هِيَ الْمَقْسُومَةُ مَعَ الْإِيمَانِ، وَالْمَحَبَّةُ الْمَخْصُوصَةُ إِيثَارُ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَالْمَحَبَّةُ مِنَ الْحَقِّ مِنَّةُ الْحَقِّ بِأَحِبَّائِهِ، وَغَيْرَتُهُ بِأَوْلِيَائِهِ، فَآفَةُ الْمَحَبَّةِ الْمَعْمُومَةِ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَآفَةُ الْمَحَبَّةِ الْمَخْصُوصَةِ تَرْكُ الْمُوَافَقَةِ، وَآفَةُ مَحَبَّةِ الْحَقِّ السُّكُونُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ. (٨٥)

فَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الْمَعْمُومَةُ، فَهِيَ الْمَحَبَّةُ الْمَقْسُومَةُ مَعَ الْإِيمَانِ، وَهِيَ أَصْلُ الْمَحَبَّةِ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَآفَتُهَا كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، أَيْ جُحُودُ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمُ الْقِيَامِ بِحَقِّ شُكْرِهَا.

وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الْمَخْصُوصَةُ، فَهِيَ إِيثَارُ الْحَقِّ تَعَالَى عَلَى مَا سِوَاهُ، بِتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ عَلَى مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْحُظُوظِ، وَآفَتُهَا تَرْكُ الْمُوَافَقَةِ، أَيْ أَنْ يَدَّعِيَ الْعَبْدُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ لَا يُوَافِقَ أَمْرَهُ، وَلَا يَلْتَزِمَ مَا تَقْتَضِيهِ مَحَبَّتُهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ.

وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ مِنَ الْحَقِّ، فَهِيَ مِنَّةُ الْحَقِّ تَعَالَى بِأَحِبَّائِهِ، وَغَيْرَتُهُ بِأَوْلِيَائِهِ؛ أَيْ إِنَّهَا مَحَبَّةٌ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَحِبَّائِهِ، وَيَخُصُّ أَوْلِيَاءَهُ بِعِنَايَتِهِ، وَآفَتُهَا السُّكُونُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، أَيْ اسْتِقْرَارُ الْقَلْبِ فِي التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهٍ يَحْجُبُهُ عَنْهُ، أَوْ يَصْرِفُهُ عَنْ مَحَبَّتِهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ.

وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْمَحَبَّةِ آفَةً تُنَاقِضُ مُقْتَضَاهُ؛ فَآفَةُ الْمَحَبَّةِ الْمَعْمُومَةِ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَآفَةُ الْمَحَبَّةِ الْمَخْصُوصَةِ تَرْكُ الْمُوَافَقَةِ، وَآفَةُ الْمَحَبَّةِ مِنَ الْحَقِّ السُّكُونُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، فَتَحْقِيقُ الْمَحَبَّةِ يَقْتَضِي شُكْرَ النِّعْمَةِ، وَمُوَافَقَةَ الْحَقِّ تَعَالَى، وَعَدَمَ السُّكُونِ إِلَى مَا يَحْجُبُ الْقَلْبَ عَنْهُ.

(٨٥) أبو منصور الأصبهاني، معمر بن أحمد، **نهج الخاص**، ص ٥٤.

مَا أَبْرَزُ الْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى؟

إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ مَمْلُوءَانِ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذِكْرِ مَا يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فَالْمَحَبَّةُ مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ لِإِدْرَاكِ كَمَالٍ فِيهِ، بِحَيْثُ يَحْمِلُهَا - أَيِ الْمَيْلُ - إِلَى مَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ، وَالْعَبْدُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْكَمَالَ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنَّ مَا يَرَاهُ كَمَالًا مِنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ حُبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي إِرَادَةَ طَاعَتِهِ، فَلِذَلِكَ فُسِّرَتِ الْمَحَبَّةُ بِإِرَادَةِ الطَّاعَةِ، وَجُعِلَتْ مُسْتَلْزِمَةً لِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالْحِرْصِ عَلَى مُطَاوَعَتِهِ. (٨٦)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وَصَفَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُتَّقِينَ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ، فَقَالَ: { ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ } أَيْ: فِي حَالَتَيِ الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَفِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، كَمَا هِيَ حَالَةُ الْأَسْخِيَاءِ، { وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ } أَيْ: الْكَافِّينَ عَنْ إِمْضَائِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، { وَٱلْعَافِينَ عَنِ

(٨٦) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج١/ص٣٤٣؛
البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢/ص١٣.

ٱلنَّاسِ ۚ } أَيْ: عَمّنْ ظَلَمَهُمْ، { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ } الَّذِينَ حَازُوا مَقَامَ الْإِحْسَانِ، فَعَبَدُوا اللهَ بِالشُّهُودِ وَالْعِيَانِ، فَعَمّ إِحْسَانُهُمْ ذَا الْإِسَاءَةِ، وَالْإِحْسَانُ. (٨٧)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي". **رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.** (٨٨)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.** (٨٩)

فَالْمَحَبَّةُ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، فَالْمُؤْمِنُونَ يُحِبُّونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ، فَإِذَا غُرِسَتْ شَجَرَةُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ وَمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ، أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثِّمَارِ، وَآتَتْ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ، وَفَرْعُهَا مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِنَّهَا صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ، وَهَيَجَانُ إِرَادَاتِ الْقَلْبِ لِلْمَحْبُوبِ، وَعُلُوُّهَا وَظُهُورُهَا مِنْهُ لِتَعَلُّقِهَا بِالْمَحْبُوبِ الْمُرَادِ، وَثُبُوتِ إِرَادَةِ الْقَلْبِ لِلْمَحْبُوبِ، وَلُزُومِهَا لُزُومًا لَا تُفَارِقُهُ، وَلِإِعْطَاءِ الْمُحِبِّ مَحْبُوبَهُ أَشْرَفَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ قَلْبُهُ. (٩٠)

فَإِذَا هُوَ عَبْدٌ ذَاهِبٌ عَنْ نَفْسِهِ، مُتَّصِلٌ بِذِكْرِ رَبِّهِ، قَائِمٌ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، أَحْرَقَتْ قَلْبَهُ أَنْوَارُ هَيْبَتِهِ، وَصَفَا شُرْبُهُ مِنْ كَأْسِ وُدِّهِ، وَانْكَشَفَ لَهُ الْجَبَّارُ مِنْ أَسْتَارِ

---

(٨٧) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج١/ص٤٠٧-٤٠٨.بتصرف.

(٨٨) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم: (٣٧٨٩)، ج٦/ص١٢٦.

(٨٩) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: (١٦)، ج١/ص١٢.

(٩٠) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣/ص١١-١٢. بتصرف.

غَيْبِهِ، فَإِنْ تَكَلَّمَ فَبِاللَّهِ، وَإِنْ نَطَقَ فَعَنِ اللَّهِ، وَإِنْ تَحَرَّكَ فَبِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِنْ سَكَنَ فَمَعَ اللَّهِ، فَهُوَ بِاللَّهِ، وَلِلَّهِ، وَمَعَ اللَّهِ. (٩١)

مَا مَنْزِلَةُ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَا أُصُولُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ؟

وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُكْنٌ أَسَاسٌ مِنْ أَرْكَانِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرْطٌ فِي إِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْحَقِيقَةِ؛ فَمَنْ لَا اتِّبَاعَ لَهُ لَا طَرِيقَ لَهُ، وَمَنْ لَا طَرِيقَ لَهُ لَا وُصُولَ لَهُ، وَقَدْ عَدَّ الشَّيْخُ زَرُّوقٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُصُولَ الطَّرِيقَةِ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ، وَهِيَ: تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَاتِّبَاعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ، وَالرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. (٩٢)

فَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ مَحَبَّتِهِ فِي الطَّاعَةِ وَالِاتِّبَاعِ، فَقَدْ نَقَصَتْ دَعْوَاهُ مِنْ جِهَةِ الْبُرْهَانِ؛ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ الصَّادِقَةَ تَدْعُو إِلَى طَاعَةِ الْمَحْبُوبِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ *** هَذَا مُحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ *** إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ (٩٣)

(٩١) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، ج٢/ص٤٩٣.
(٩٢) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج١/ص٣٤٤؛
(٩٣) النيسابوري، عبد الملك بن محمد إبراهيم، **تهذيب الأسرار**، ص٥٨.

مَا هِيَ الْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِلْمَحَبَّةِ؟

وَالْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِلْمَحَبَّةِ عَشَرَةٌ:

الْأَوَّلُ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ، وَتَفَطُّنِ مُرَادِ اللَّهِ مِنْهُ.

الثَّانِي: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ؛ فَإِنَّهَا تُوَصِّلُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ.

الثَّالِثُ: دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْعِلْمِ وَالْحَالِ؛ فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ.

الرَّابِعُ: إِيثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الْهَوَى. أَيْ: تَقْدِيمُ رِضَا اللَّهِ عَلَى رَغَبَاتِ النَّفْسِ، وَالسَّعْيُ الدَّؤُوبُ لِتَحْقِيقِ مَرْضَاتِهِ، مَهْمَا كَانَتِ التَّحَدِّيَاتُ.

الْخَامِسُ: مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا، وَتَقَلُّبُهُ فِي رِيَاضِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَمَبَادِئِهَا؛ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ.

السَّادِسُ: مُشَاهَدَةُ بِرِّهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَنِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالْبَاطِنَةِ.

السَّابِعُ: وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا: انْكِسَارُ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى

الثَّامِنُ: الْخَلْوَةُ، لِمُنَاجَاتِهِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالْوُقُوفِ بِالْقَلْبِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ خَتْمِ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

التَّاسِعُ: مُجَالَسَةُ الْمُحِبِّينَ وَالصَّادِقِينَ، وَالْتِقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الْكَلَامِ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِهِ.

الْعَاشِرُ: مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ وَصَلَ الْمُحِبُّونَ إِلَى مَنَازِلِ الْمَحَبَّةِ، وَدَخَلُوا عَلَى الْحَبِيبِ، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

تِلَاوَةُ فَهْمٍ مَعْ لُزُومِ نَوَافِلَ*** وَذِكْرٌ دَوَامًا وَانْكِسَارٌ بِقَلْبِهِ

وَإِيثَارُ مَا يُرْضِي شُهُودَ عَطَائِهِ*** وَوَقْتَ نُزُولِ الْحَقِّ يَخْلُو بِرَبِّهِ

مُطَالَعَةُ الْأَسْمَاءِ مُجَالَسَةُ الْقُدَى (٩٤)*** مُجَانَبَةُ الْأَهْوَاءِ جَوَالِبُ حُبِّهِ(٩٥)

مَا الْمُرَادُ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ فِي طَرِيقِ السُّلُوكِ، وَكَيْفَ تَتَدَرَّجُ مُجَاهَدَةُ السَّائِرِينَ مِنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَالْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ إِلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَتَحْقِيقِ الْإِخْلَاصِ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يَقُولُ الْحَقُّ جَلّ جَلَالُهُ: { وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا }، أَطْلَقَ الْمُجَاهَدَةَ وَلَمْ يُقَيِّدْهَا بِمَفْعُولٍ لِيَتَنَاوَلَ مَنْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ، أَيْ: جَاهَدُوا نُفُوسَهُمْ فِي طَلَبِنَا، أَوْ فِي حَقِّنَا، وَمِنْ أَجْلِنَا، وَلِوَجْهِنَا خَالِصًا، { لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ } أَيْ: طُرُقَ السَّيْرِ إِلَيْنَا، وَالْوُصُولِ إِلَى حَضْرَتِنَا، أَوْ لَنُسَهِّلَنَّ لَهُمْ فِعْلَ الْخَيْرِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى جَنَابِنَا، أَوْ: الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ - أَيْ: لِلّهِ - لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْعَمَلِ بِهِ، أَوْ: الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ السُّنَّةِ، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْجَنَّةِ، أَوْ: جَاهَدُوا فِي إِرْضَائِنَا، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْوُصُولِ إِلَى مَحَلِّ الرِّضْوَانِ، أَوْ: جَاهَدُوا فِي طَاعَتِنَا، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ ثَوَابِنَا.(٩٦)

(٩٤) جمع قدوة، والمراد من يحسن الاقتداء به.

(٩٥) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج٢/ص٤٢١-٤٢٢.بتصرف.

(٩٦)محيي السنة البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج٦/ص٢٥٦.

أَوْ: جَاهَدُوا فِي التَّوْبَةِ، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْإِخْلَاصِ، أَوْ: جَاهَدُوا فِي خِدْمَتِنَا، لَنَمْنَحَنَّهُمْ سُبُلَ الْمُنَاجَاةِ مَعَنَا وَالْأُنْسِ بِنَا، {وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ} بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ فِي الدُّنْيَا، وَبِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ فِي الْعُقْبَى. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْمُجَاهَدَةُ: عَلَى قَدْرِهَا تَكُونُ الْمُشَاهَدَةُ، فَمَنْ زَيَّنَ ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهَدَةِ، حَسَّنَ اللهُ سَرَائِرَهُ بِالْمُشَاهَدَةِ، وَمَنْ لَا مُجَاهَدَةَ لَهُ لَا مُشَاهَدَةَ لَهُ. وَبِالْمُجَاهَدَةِ تَمَيَّزَتِ الْخُصُوصُ مِنَ الْعُمُومِ، وَبِهَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ؛ فَالْعُمُومُ وَقَفُوا مَعَ مُوَافَقَةِ حُظُوظِهِمْ مِنَ الْجَاهِ وَالْغِنَى وَغَيْرِهِ، وَالْخُصُوصُ خَالَفُوا نُفُوسَهُمْ، وَرَفَضُوا حُظُوظَهُمْ، وَخَرَقُوا عَوَائِدَهُمْ، فَخُرِقَتْ لَهُمُ الْعَوَائِدُ، وَانْكَشَفَتْ عَنْهُمُ الْحُجُبُ، وَشَاهَدُوا الْمَحْبُوبَ، فَجَاهَدُوا أَوَّلًا فِي تَرْكِ الدُّنْيَا، وَتَحَمَّلُوا مَرَارَةَ الْفَقْرِ، حَتَّى تَحَقَّقُوا بِمَقَامِ التَّوَكُّلِ، ثُمَّ جَاهَدُوا فِي تَرْكِ الْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ، فَتَحَقَّقُوا بِالْخُمُولِ، وَهُوَ أَسَاسُ الْإِخْلَاصِ، ثُمَّ جَاهَدُوا فِي مُخَالَفَةِ النَّفْسِ.

فَحَمَلُوهَا كُلّ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا، وَأَخْرَجُوهَا مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ وَيَخِفُّ عَلَيْهَا، وَارْتَكَبُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَالًا وَأَحْوَالًا صِعَابًا، حَتّى مَاتَتْ نُفُوسُهُمْ مَوْتَاتٍ، فَتَحَقّقَتْ بِذَلِكَ حَيَاةُ أَرْوَاحِهِمْ، وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْبَحْرِ الزّاخِرِ؛ بَحْرِ التّوْحِيدِ الْخَاصّ، فَغَابَتْ ظِلَالُ الْأَكْوَانِ حِينَ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْعِيَانِ، وَدَخَلُوا جَنّةَ الْمَعَارِفِ، وَلَمْ يَشْتَاقُوا قَطُّ إِلَى جَنّةِ الزّخَارِفِ؛ لِأَنّهَا مُنْطَوِيَةٌ فِيهَا. وَلَا بُدّ مِنْ صُحْبَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ، قَدْ سَلَكَ هَذِهِ الْمَسَالِكَ، يُلْقِي إِلَيْهِ زِمَامَ نَفْسِهِ، حَتّى يُوصِلَهُ إِلَى رَبّهِ، وَإِلّا أَتْعَبَ نَفْسَهُ بِلَا فَائِدَةٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ} تَهْوِينٌ وَتَسْهِيلٌ عَلَى السّائِرِينَ أَمْرَ نُفُوسِهِمْ وَمُجَاهَدَتَهَا، إِذَا عَلِمُوا أَنّ اللّهَ مَعَهُمْ، هَانَ عَلَيْهِمْ كُلُّ صَعْبٍ، وَقَرُبَ كُلُّ بَعِيدٍ.[٩٧]

وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمْرَانِ: اسْتِعْدَادُ الرُّوحِ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَانْفِتَاحُ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ.[٩٨]

وَبِاللّهِ التّوْفِيقُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ الْعَلِيّ الْعَظِيمِ.

وَصَلّى اللّهُ عَلَى سَيّدِنَا مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّمَ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

[٩٧] أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٤/ص٣٢١-٣٢٢.بتصرف.

[٩٨] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣/ص١٩.

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

القرآن الكريم

١) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، **استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس**، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، طبع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (القاهرة)، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، **شرح حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه**، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، طبع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (القاهرة)، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، **شرح حديث لبيك اللّٰهُمَّ لبيك**، تحقيق: وليد عبد الرحمن محمد آل فريان، دار عالم الفوائد، (مكة المكرمة)، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤) ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله، **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت)، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، تقديم: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، (القاهرة)، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٣، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م

٧) أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، **العظمة**، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، (الرياض)، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨) أبو العباس ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، (القاهرة)، ١٤١٩هـ.

٩) أبو الفرج ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **صفة الصفوة**، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، (القاهرة)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠) أبو منصور الأصبهاني، معمر بن أحمد، **نهج الخاص**، تحقيق: الأب س. بوركيّ الدومنكي، طبع ضمن كتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه، أشرف على إعدادها: عبد الرحمن بدوي، دار المعارف، (القاهرة)، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.

١١) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٢) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت)، ط١، ١٤١٨هـ.

١٣) البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان الكناني الشافعي، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، تحقيق :محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، (بيروت)، ط٢، ١٤٠٣هـ

١٤) الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت)، ١٩٩٨م.

١٥) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، مع تضمينات :الذهبي في التلخيص والميزان، والعراقي في أماليه، والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق :مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩٠م.

١٦) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت)، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١٧) دولة، سهاد تحسين إلياس، **الخوف والرجاء في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٨) شقيق البلخي، أبو علي بن إبراهيم، **آداب العبادات**، تحقيق: بولس نويا اليسوعي، طبع ضمن كتاب نصوص صوفية غير منشورة دار المشرق، (بيروت)، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م.

١٩) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تحقيق :محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، (بيروت)، ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٢٠) الشمسان، عبد الرحمن بن سليمان، **الخوف والرجاء في الكتاب والسنة**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، (بيروت)، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني، **نيل الأوطار**، تحقيق :عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، (القاهرة)، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م

٢٣) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة)، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٤) الفيومي، محمد حسن بن علي بن سليمان البدر، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، تحقيق: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، مكتبة دار السلام، (الرياض)، ط١، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

٢٥) القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، (القاهرة)، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٦) القزويني، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

٢٧) القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة)، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٢٨) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، (القاهرة).

٢٩) محمود، بهاء الدين محمد أنور، **من أصبهان إلى دمشق: أربعون حديثًا في السير إلى الله؛ دراسة صوفية في قلب مخطوطة نادرة**، رقم الإيداع: ٢٠٢٦/٢١١٧٦م، منشور إلكترونيًّا على مكتبة نور، https://www.noor-book.com. ويتناول الكتاب نصَّ المخطوطة المعنونة: الجزء فيه أحاديث الأربعين، /كتاب أحاديث الأربعين المحفوظة على المتحققين من المتصوفة والعارفين، لأبي منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصبهاني، قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه.

٣٠) محيي السنة البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣١) النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت)، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٢) النيسابوري، عبد الملك بن محمد إبراهيم، **تهذيب الأسرار**، تحقيق: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٩م.

٣٣) الهروي، عبد الله بن محمد بن علي، **منازل السائرين**، دار الكتب العلمية (بيروت)،١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

فَهْرَسُ المَوْضُوعَـاتِ

الْإِهْدَاءُ ٣

مُقَدِّمَةٌ ٤

التوبة ٨

مَا التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مَنْزِلَتُهَا فِي طَرِيقِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟.... ٩

مَا مَقَامَاتُ التَّوْبَةِ وَمَرَاتِبُهَا؟..... ١٠

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْأَوْبَةِ، وَمَا دَلَالَةُ كُلٍّ مِنْهَا؟..... ١١

مَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَمَا شُرُوطُهَا وَأَرْكَانُهَا؟..... ١٢

كَيْفَ تَتَحَقَّقُ التَّوْبَةُ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَالسُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ؟..... ١٤

كَيْفَ يُحَاسِبُ السَّالِكُ نَفْسَهُ عَلَى الذَّنْبِ، وَمَا الْأُمُورُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَهَا عِنْدَ التَّوْبَةِ؟..... ١٦

مَا فَضْلُ التَّوْبَةِ وَجَزَاءُ التَّائِبِينَ، وَمَا دَوْرُ تَوْفِيقِ اللَّهِ وَهِدَايَتِهِ فِي تَحْقِيقِهَا؟ ١٨

الزهد ٢٠

مَا هُوَ الزُّهْدُ؟..... ٢١

هَلْ دَعَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا؟ ٢١

مَا الْأَدِلَّةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا؟ ٢٤

مَا مَرَاتِبُ الزُّهْدِ، وَمَا أَبْرَزُ عَلَامَاتِهِ؟..... ٢٦

مَا عِلَاقَةُ الزُّهْدِ بِالْإِيثَارِ وَالْفُتُوَّةِ؟ ٢٧

كَيْفَ يُقَسَّمُ الزُّهْدُ مِنْ حَيْثُ مَقَامَاتُهُ وَمَرَاتِبُهُ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟ ٢٨

هَلْ هُنَاكَ مِثَالٌ تَطْبِيقِيٌّ لِلزُّهْدِ؟ ٣٠

خَاتِمَةٌ ٣١

الخوف من الله عزوجل ٣٢

مَا هُوَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ٣٣

مَا أَسْبَابُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي تُوقِظُ الْقَلْبَ وَتَبْعَثُهُ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ؟ ٣٣

مَا هِيَ مَقَامَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟..... ٣٦

مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّقْوَى؟..... ٣٦

كَيْفَ يَبْدَأُ الْمُسْلِمُ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟ ٣٦

مَا دَلَالَاتُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي بَيَانِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟..... ٣٧

مَا الْآثَارُ الطَّيِّبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ وَالسُّلُوكِ، وَمَا الْآثَارُ السَّيِّئَةُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى غِيَابِهِ؟..... ٤١

خُلَاصَةٌ..... ٤٦

الشوق إلى الجنة ٤٨

مَا حَقِيقَةُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا عَلَاقَتُهُ بِالْمَحَبَّةِ؟ ٤٩

كَيْفَ يَبْدَأُ الْعَبْدُ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا أَبْرَزُ صِفَاتِ الْمُشْتَاقِ إِلَى الْجَنَّةِ؟ ٤٩

مَا هِيَ مَقَامَاتُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟ ٥٠

مَا دَلَالَةُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؟ ٥٢

مَا أَثَرُ رَجَاءِ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ؟ ٥٦

مَا أَطْيَبُ مَا فِي الْجَنَّةِ، وَمَا مَنْزِلَةُ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّوْقِ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ؟ ٥٧

مَا هِيَ دَرَجَاتُ الشَّوْقِ إِلَى الْجَنَّةِ؟ ٥٩

محبة الله عز وجل ٦١

مَا هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ٦٢

مَا مَبْدَأُ الدُّخُولِ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ فِي الْقَلْبِ؟ ٦٣

مَا هِيَ مَقَامَاتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا الْآفَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي كُلَّ مَقَامٍ؟ ٦٤

مَا أَبْرَزُ الْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى؟ ٦٥

مَا مَنْزِلَةُ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَا أُصُولُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ؟ ٦٧

مَا هِيَ الْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِلْمَحَبَّةِ؟ ٦٨

مَا الْمُرَادُ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ فِي طَرِيقِ السُّلُوكِ، وَكَيْفَ تَتَدَرَّجُ مُجَاهَدَةُ السَّائِرِينَ مِنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَالْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ إِلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَتَحْقِيقِ الْإِخْلَاصِ؟ ٦٩

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ ٧٢

فَهْرَسُ المَوْضُوعَـاتِ ٧٧